جوهر الإسلام

العدد 6/5 ـ السنة 23
ربيع الأول 1446 هـ / سبتمبر 2024 م

الثمن 5 د.ت ـ 5 أورو

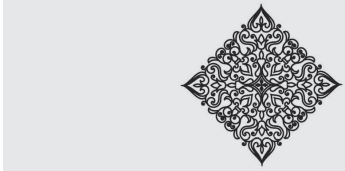

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة **الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله**

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

العنوان	28 نهج جمال عبد الناصر ـ تونس 1000
الهاتف الفاكس	216.71.327.130 216.71.423.233
البريد الالكتروني الموقع الالكتروني	mestaoui.s@gnet.tn www.jawhar-al-islam.info
الحساب الجاري بالبنك العربي لتونس (الجزيرة)	01000021111000023810 6
ISSN	0330-4957

الثمن للأفراد	الاشتراك بتونس	الاشتراك للمؤسسات
بتونس 5 د.ت	للأفراد : 30 د.ت	بتونس 50 د.ت
بالخارج 5 أورو	بالخارج 40 أورو	بالخارج 50 أورو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

صَدَقَ اللهُ العَظِيمُ

جوهر الإسلام

مؤسس المجلة فضيلة
الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

المدير ورئيس التحرير
الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

1446 هـ/ 2024 م

الفهرس

الافتتاحية 5

رئيس التحرير

تفسير آيات من القرآن الكريم 8

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

فقه الواقع: نحو فتوى تستوعب أشكال الحداثة وإشكالات المعاصرة 12

معالي العلامة عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيّه

نظرات وتوجيهات حول كتاب التنمية الذاتية في الإسلام 15

بقلم: الاستاذ صالح العَوْد

وحدة الأمة في مواجهة التحديات 18

بقلم فضيلة الشيخ أحمد الطيب شيخ الازهر

أدوات النظر الاجتهادي المنشود 21

بقلم الدكتور قطب مصطفى سانو

النصرة الإلهية 30

بقلم المفكر الهندي الأستاذ وحيد الدّين خان

في رياض السنة : الحديث الثلاثون من الاربعين النووية :حقوق اللّه 32

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

الفتوى والبناء الأخلاقي في عالم متغير 37

بقلم الدكتور محمد البشاري

تكريم المرأة وإعطاؤها حقوقها كاملة ضرورة من ضرورات التقدم والتمدن .. 40

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

قراءة في كتاب نولدكه عن «تاريخ القرآن» 50

بقلم الدكتور محمد المختار ولد اباه

مفاهيم إسلامية من هدي الإسلام في تنظيم العلاقات الزوجية والأسرية 57

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

جذر الأمازيغية عربي وخط كتاتبتها عربي 60

بقلم الدكتور عثمان سعدي- الجزائر

أما تَـدْرونَ يا عـربُ ؟..... 64

شعر الأستاذ إبراهيم الربو – ليبيا

تأليف الشيخ أبي عبد الرحمان السلمي رحمه الله (ت 412هـ/ 1021م) 66

تقديم وتحقيق الأستاذ عبد الهادي الهنركامب وأنس همناني

السياحة الدينية في تونس..... 74

بقلم الأستاذ محمد إلياس المحرزي

عرض كتاب فهرست الشيخ علي النوري الصفاقسي التونسي 78

شفاء السقام في زيارة خير الانام..... 82

تقديم وتحقيق الأستاذ صالح العود

يا ربّ صل عليه منقذ الامم 84

شعر فضيلة الشيخ محمد عبد السلام خليل رحمه الله

خطبة الجمعة: ذكرى مولد رسول اللّه ﷺ محطة لإستلهام الدروس من سيرته وشمائلة العطرة..... 91

يسألونك قل : من يُرد به الله خيرا يفقهه في الدّين 97

بقلم فضيلة الشيخ الحبيب النفطي رحمه الله

في مدح خير البرية سيدنا وحبيبنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم 101

بقلم د. رضا محمد جبران

مسك الختام : هل تعرفون ما اسم شيخي الذي لم ألتق به ؟ 102

صالح الحاجة

الافتتاحية :

ستظل جوهر الإسلام بإذن الله عربون ولاء لروح رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أرادها مؤسسها

يصدر هذا يصدر هذا العدد5/ 6من السنة 23 من مجلة جوهر الإسلام في شهر ربيع الأوّل مواكبا لذكرى عزيزة على كل المسلمين الا وهي ذكرى مولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و هي أيضا ذكرى عزيزة على مجلة جوهر الإسلام التي شاءت الاقدار الإلهية ان يكون صدور أوّل عدد منها في مثل هذا الشهر قبل ستة وستين سنة(ربيع الأول 1388ه/ جوان 1968) و لم يكن ذلك من قبيل الصدفة اذ لا صدفة في علم الله بل هي اقدار الهية ترتب جريان الأمور وفق ترتيب معين و(لكل اجل كتاب)

و الاختيار من طرف الشيخ المؤسس الحبيب المستاوي رحمه الله على هذا التاريخ لا يمكن تغافله وعدم الوقوف عنده باعتبار ان هذه المجلة الثقافية الإسلامية الجامعة هي أوّل مجلة تصدر بعد الاستقلال بعد ان احتجبت المجلات الإسلامية التي كانت تصدر في البلاد التونسية.

ولهذاا لاختيار عديد المعاني منها التيمن و الفال الحسن و هومن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه نية الاستمداد من نوره الذي وعد الله باتمامه (والله متم نوره) وتجليات كل ذلك تبدو بوضوح في شخصية الشيخ المؤسس في كل مراحل حياته منذ ان كان صبيا يتعلم القران على يدي جده الشيخ احمد المستاوي رحمه الله والذي كان به بارا ثم في شده الرحال لطلب العلم في جامع الزيتونة المعمور في حاضرة البلاد التونسية صحبة صفوة بررة من طلبة العلم أصيلي الجنوب الشرقي من قرية الرقبة ببلدة تطاوين رحمهم الله واسكنهم فسيح جنانه. و تبدو وبوضوح اكبر بعد تخرجه من الجامع الأعظم ودخوله معترك الحياة بكل ما فيه من تجاذبات كان فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملا عليه كيانه وسكن حبه والتعلق به سويداء قلبه جاعلا منه عليه الصلاة والسلام الاسوة والقدوة في كل ما بذله من جهد وجهاد اصغر واكبر يشهد على ذلك ما خطه قلمه نثرا وشعرا ولا غرابة ان يعبر عن ذلك في افتتاحية أوّل عدد أصدره من هذه المجلة التي كتب الله لها ان تصبح ام المجلات في تونس وفي كل الجناح الغربي للعالمين العربي والإسلامي وكتب الله لها تواصل الصدور لأكثر من نصف قرن من عمر الزمان وان تبلغ المجلدات الصادرة منها إلى حد الآن ثلاثة وعشرين مجلدا (واللهم زد وبارك) ولا ندعي لذلك من سبب وراء ذلك إلاّ أنها إن شاء الله عمل خالص لوجه الله و(ما كان لله دام واتصل) و كذلك وهذا ما عبر عنه الشيخ المؤسس رحمه الله بقوله(وانه من طالع اليمن وجميل الصدف ان يوافق ميلاد مجلتنا هذه مولد سيد الكائنات عليه الصلاة والسلام فتكون المجلة عربون

ولاء لروحه الزكية الطاهرة ولدعوته الرشيدة القويمة وتكون في الان نفسه تجديدا للعهد وتقوية للايمان وطمعا في الإحراز على التوفيق والتسديد مع حسن المثوبة ورضى النفس) جوهر الإسلام ص7 العدد الأول السنة الاولى ربيع الاول1388هـ/ جوان1968م.

ولا يختلف اليوم اثنان من جمهور الامة في غالبيته العظمى(إلاّ من أبوا وقليل عددهم) ان اثر رسول الله صلى الله في كل فياتها وأجيالها المتعاقبة على امتداد بلاد الإسلام في مختلف القارات وحيثما يوجد مسلمون اثر بارز وان التعلق به عليه الصلاة والسلام و الاقتداء به وان تفاوت في درجته إلاّ انه قائم وجلي لا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة شهد ويشهد بذلك كل باحث منصف ومتجرد وهو ما لم يتهيأ لاحد غيره تعبر عن ذلك الألسنة التي تلهج بالصلاة عليه كلما ذكر اسمه امتثالا لأمر ربهم القائل في كتابه ﴿**إِنَّ اللهَّ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ ويشهد على هذا التعلق به هذا الكم الكبير جدا والذي لا يمكن عده ولا حصره من المدونات التي اجتهد في تأليفها وإبراز جوانب العظمة والكمال البشريين في الجناب المحمدي الذين لم يجتمعا لبشر قبله ولا بعده بما في ذلك رسل الله وأنبيائه عليهم السلام .ولا يتسع المجال لذكر عناوين الكتب التي الفت والدواوين الشعرية التي جادت بها قرائح الشعراء في سيرته وشمائله العطرة والتي لا تزال تعقد المجالس في المساجد والزوايا وفي المنازل لقراءتها والتدبر فيما خص الله به سيدنا محمدا من محامد وفضائل وما لا يزال الله يحف به امته من اجله من الطاف ظاهرة وخفية ورحمات وفيوضات ربانية ولا نغالي في شيء عندما نقول ان الروح المحمدية لا تزال وستبقى بإذن الله المعين الذي لا ينضب الذي يروي ضما كل العطاش وبالخصوص في هذا الزمان الذي أصبحت فيه الدنيا اكبر هم الناس ومن أحسن ما ألّف في تتبع مظاهر التعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم في مختلف أرجاء العالم الإسلامي الكتاب الذي الفته المستشرقة الألمانية ان ماري شميل وترجم إلى اللغة العربية واختير له عنوان (وان محمدا رسول اللّه) والكتاب الذي صدر في الفترة الأخيرة باللغة الفرنسية للأستاذ داود قريل (وهو أستاذ في جامعة اكس ان بروفانس بفرنسا) ويحمل عنوان عبد الله صورة محمد في الروحانية المسلمة (ترجمةحرفية)

Le serviteur de Dieu. la figure de muhammad en spiritualite musulmane

في هذا العدد يجد القارئ بعض ما رأينا ان نحيي به صاحب الذكرى عليه الصلاة والسلام فضلا عن عدد من البحوث والدراسات تتعلق بموضوع الفتوى والحاجة إلى الاجتهاد في هذا العصر وغيرها من المواضيع. وما اعتاد عليه القارئ من أبواب قارة داعين الله أن يمدنا بعونه وان يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم انه سبحانه وتعالى سميع مجيب ولله الأمر من قبل ومن بعد.

رئيس التحرير

تفسير آيات من القرآن الكريم

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

يقول الله تبارك وتعالى بعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ * فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة القلم ـ الآيات 17 – 33).

أخي القارئ لقد سمعت قصة ذلك الذي بطر بنعمة الله وداخله الغرور لانه كان ذا مال وبنين. فأصبح يناصب رسول الله ودين الله العداء ويسخر كل امكانياته لعرقلة سير الدعوة والحيلولة بينها وبين المتعطشين إليها، ورايت كيف ان جهوده باءت بالفشل الذريع. وحل به في الدنيا ما يستحقه ريثما ينزل به يوم القيامة ما هو انكى واشد ولما كان السياق يقتضي توضيح عاقبة من اطغاه النعيم فافسد في الارض وتطاول على عباد الله بنعمة الله، ناسب ان يسوق المولى سبحانه وتعالى قصة يعرفها اهل مكة نظرا لقرب زمانها ومكانها منهم وهي من القصص التي يتداولها الرواة والقصاصون

بينهم لتكون اعانتها لهم بمشاهدها المعبرة وباسبابها ومسبباتها باستخلاص العبرة منها لتكون كل هذه الاشياء المجتمعة ابلغ في انفسهم وادعى إلى الاتعاظ والتشبه.

هذه القصة هي قصة أصحاب البستان العظيم الذي عبر عنه القرآن بالجنة كما كانوا هم يسمونها بذلك ولقد قال المولى سبحانه وتعالى ﴿**إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ**﴾ والضمير في بلوناهم يعود على اهل مكة الذين تنكروا للحق وضايقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان يقول مرة (**اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف**) ويقول مرة اخرى (**اللهم اشدد وطأتك على مضر**) ولكنه في كلتا الحالتين لم يطلب لهم الهلاك بل تضرع إلى الله ان يصرفه عنهم حتى يخرج من اصلابهم من ينصر الحق ويعز دين الله انما فقط كان حريصا على هداهم ولذلك يريد ان تضغط عليهم الازمات حتى ترجعهم إلى الجادة فتكون الازمة ابتلاء لا انتقاما نظير ما وقع لأولئك القوم الذين نعتهم بأصحاب الجنة، وهم جماعة من قرية ضروان بالقرب من صنعاء ببلاد اليمن، وقبل كانت بالحبشة، وقيل أيضا انها بلدة الطائف المعروفة ببساتينها ومياهها وخضرتها، وانها انما سميت بالطائف لهذه القصة ذاتها، اذ الطائف هو ما يجيء بالليل وقد نزلت الجائحة ببستان هؤلاء الجماعة ليلا ﴿**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ**﴾ ويقتصر القرآن حسب اسلوبه الحكيم في القصص على ما تدعو اليه الحاجة مع لف جميع مالا يسبب لفه اخلالا بالمعنى واضعافا للاسلوب البياني المعجز فيقتصر هنا على ذكر أصحاب الجنة الحاليين ويترك للرواة مهمة التقديم والتفصيل، وقد ذكروا ان المالك الاصلي لهذا البستان العظيم كان رجلا تقيا لا يمنع خيره على الفقراء والمعوزين، وانه لا يقطع ثمر بستانه خفية بل يكون يوم جذه مشهودا يشبع فيه كل جائع ويأكل منه القانع والمعتر، ومن اجل هذا كان البستان دائم الاثمار. وكان محفوظا من الآفات والجوائح، فلما آل امر البستان إلى ورثة اشرار تمكن من قلوبهم الجشع، وخيل اليهم انهم قادرون على التنعم والاستماع، وان لا عائق يعوقهم ولا قوة تحول بينهم وبين ما يشتهون، قرروا ان يستأثروا وحدهم بثمار بستانهم. وان يستريحوا من مضايقة جماهير المساكين التي كانت تقلقهم في حياة والدهم، وتشاركهم في ما ليس لها فيه حق حسب ظنهم السخيف نصيب وتواصوا على تنفيذ ارادتهم بحكمة ودقة واقسموا ان لا يدخل جنتهم مسكين وان يتنعموا وحدهم بثمارها ولم يقولوا ان شاء الله ليحلوا عقدة ايمانهم بالاستثناء شأن المؤمنين الذين أدبهم الله بما قاله لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿**وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلاَّ أَن يَشَاء اللهُ**﴾قلت ان افراطهم في الجهل والشح جعلهم يتخذون

كل الاحتياطات لكي لا يراهم احد ولا يضايقهم مضايق ومن اجل هذا قرروا ان يبكروا قبل ان يستيقظ الناس ﴿**إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلا يَسْتَثْنُونَ**﴾ ولكنهم قبل ان يقوموا بعملية الصرم التي هي قطع الثمار، سبقوا بارادة الله من ارادتهم وحكمة اعظم من حكمتهم اذ ان الله امر جنوده التي منها الصواعق والشهب المحرقة ان تاتي على تلك الثمار فتجتاحها وعلى تلك الجنة فتجعلها كالصريم أي كالليل المظلم أو كالشيء المصروم المقطوع ﴿**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ**﴾وبينما الارادة السماوية تنفذ مخططاتها نرى اولئك السذج يتنادون في همس ليحققوا ما اتفقوا عليه بالامس ﴿**فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ**﴾ ولكن ماذا ينفعهم تفكيرهم ومسارعتهم وظنهم انهم قادرون على جني ثمارهم بعد ان سبقتهم الاقدار فنفذت ارادة الله بسرعة ودقة انئذ وبعد فوات الفوت وبعد نزول الصدمة يعود للضالين رشدهم ويصبحون في حالة تشبه حالة الصبيان الصغار، حالة الضعفاء المتهالكين الذين يحاول كل واحد منهم ان يحمل المسؤولية على غيره قائلا له انت السبب فيجيبه الآخر الم اقل لك كذا وكذا ويقول غيرهما ليتنا فعلنا كذا وكذا وما شابه ذلك مما لا يجدي نفعا ولا يغني فتيلا ويصور القرآن هذا المشهد بابدع أسلوب فيقول ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾ لله ما اروعه من أسلوب حكيم يصور الحوادث بازمنتها حتى لكأنها تمر امام اعين النظارة الا تشاهدون معي وجوها مصفرة وشفاها متقلصة وفرائص مرتعشة من هول المشهد المريع؟ الا تلمسون مواقع البله الذي سببه انعدام التوازن ﴿**قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ**﴾ما لهم لا يجيبوه لرغبته ان كانوا صادقين؟ وما له لم يلح عليها في الابان ان كان من المؤمنين بها والمتحمسين إليها؟ ومالهم الان يرددون بلا شعور ﴿**سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾ انهما لحالة ومقالة من كل من كان يغالط نفسه بالاوهام فتجبهه الحقيقة المرة على حين غفلة، ويجد نفسه قد جرد من كل سلاح فإذا بلسانه يتحرك بدون نظام وينطق بكل ما جرى عليه ويصبح أشبه شيء بالسكران أو المعتوه،

وتمضي الآيات مشخصة للمشهد بكل جزئياته فتقول ﴿**فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ**﴾ انه اقبال لا بتوجيه الكلام فقط بل بالحركات غير المنتظمة كالشويهات التي احاط بها الذئاب لا تدري اين توجه رأسها فتتاقبل وتمعن في الدوران والالتفات حول بعضها ﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ**﴾ اعتراف يتجاوز الحدود واعتراف بالضعف

وذهاب الحول والطول، وهنا تعود المطامع من جديد، وتقطع العهود والالتزامات على النفس ﴿**عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ**﴾ اجل انكم الان فقط إلى ربكم راغبون اما بالامس القريب فانتم عن ربكم راغبون ومعرضون لا اليه راغبون ومتوجهون وذلك حال الإنسان اذا مسه الضر.

وتختم الايات هكذا باستخلاص العبرة من القصة ﴿**كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ هذه هي زبدة المخيض ولباب اللباب، فاعتبروا يا اولي الالباب. مصائب وازمات خفية وعنيفة يبعثها المولى لعباده كنذر وارهاصات تخوفهم من غضب الله وبأسه، فان هم راعوا ورجعوا عما درجوا عليه من فسوق وعصيان كان بهم رؤوفا رحيما فساق اليهم الهداية والنعيم، وان عادوا لما نهوا عنه ونسيت قلوبهم ما مر بها من عظات ودروس كان عذابه اشد ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ كل ذلك في الدنيا اما عذاب الاخرة فهو الاشد الاعظم ﴿ **وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾نسألك اللهم ان ترزقنا اليقين ونعوذ بك مما استعاذ منه رسولك الامين عليه الصلاة والسّلام اللهم ان نعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وطرف لا يدمع.

من آخر إصدارات الأستاذ صالح العود

كتاب تعطير الكلام في سيرة شيوخ تونس الاعلام

تقديم الشيخ عبد القادر عاشور خطيب مسجد عمر بن الخطاب باريس ترجم فيه الشيخ صالح العود لاصحاب الفضيلة (محمد الحبيب النفطي ومحمد الطاهر الجوابي وعبد العزيز مزيد وعبد الرحمان الحفيان ومحمد بوالاجفان وعبد الرحمان خليف ومحمد الشاذلي النيفر ومحمد الهادي الكشك ومحمد محفوظ وجلول العرافة رحمهم الله)

جزى الله خيرا الأستاذ صالح العود على وفائه وجهوده في التعريف باعلام تونس.

فقه الواقع: نحو فتوى تستوعب أشكال الحداثة وإشكالات المعاصرة

معالي العلامة عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيّه

رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي

يطرح استيعاب الواقع المتغيّر والسياقات المتجدّدة إشكالية لمصدري الفتاوى الشرعية في هذا العصر. فمنهم من يتجاهل الواقع بالكلية، ومنهم من لا يمتلك أدوات فهم الواقع، ومنهم من يحاول فرض فهمه للواقع على النصوص الشرعية دون إدراك لضوابط ومحددات التعامل معها.

إن الواقع هو نهر الحياة المنساب الذي لا بد للفتوى أن تتعامل معه، متلونة بلونه، باحثة عن منبعه، متأملة في مصبه ومنتهاه.

إن الواقع إذاً شريك في الأحكام الشرعية، وفهمه هو الوسيلة لتنزيلها على الوقائع

لكن فهم الواقع ليست مهمة سهلة، خصوصاً في عالم معولم يزداد تعقيداً كل يوم، ويقترح فيه التطور الزماني والواقع الإنساني صوراً مغايرة للصور التي نزلت فيها الأحكام الجزئية. فهو واقع فيه معاهدات دولية، وحدود جيوسياسية بين الدول، وأسلحة دمار شامل، وتعددية دينية وثقافية وإثنية، ومخترعات وذكاء اصطناعي. إنه واقع يؤثّر في النظم والقوانين، ويستدعي قراءة جديدة في ضوء الشرع للتذكير بالكُليات، تحت تأثير (كُلي) الزمان أو العصر أو الواقع سياسياً واجتماعياً، واقتصادياً وعلمياً وتكنولوجيا..

وقد زادت الحداثة بأَشكالها، والمعاصرة بإِشكالاتها، من تعقيد فهم الواقع، كما أشار إلى ذلك كثير من علماء الاجتماع والفلاسفة مثل ادغار موران في نظريته التي تدعو إلى أنماط جديدة من «التفكير المعقد» تبتعد عن الاختزال أو التبسيط. فالواقع بتركيبه المربِك لا يُحاط به من منظور أحادي ولا يكفي علمٌ مهما كانت دقّته وصوابية نتائجه لينفذ إلى حقيقته، بل لا بد أن تتضافر وجهات النّظر المعرفية وتتكامل لترسم لوحة أقرب إلى الدقة وإلى الاكتمال.

يفرض هذا التعقيد على الفقيه المفتي البحث عن أدوات تساعده وتساعفه في تصوّر وتصوير الواقع

في هذا السياق، يأتي المؤتمر العلمي الثالث لمجلس الإمارات للإفتاء الشرعي –المزمع عقده قريباً إن شاء الله– تحت الرعاية الكريمة لسمو الشيخ عبدالله بن زايد آل نهيان، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الخارجية، لينبّه العلماء على فقه الواقع، حيث يجمع مؤسّسات ودور الفتوى الرسمية في العالم الإسلامي، والمختصين في مجالات الفلسفة وعلم الاجتماع والعلوم الطبيعية لتسليط الضوء على ضرورة اعتبار الواقع عند إصدار الفتاوى الشرعية. كما يهدف المؤتمر إلى إعادة التفكير في طرق ومناهج استنباط الواقع وقواعد تنزيل الأحكام الشرعية عليه، أو ما يسمى في اللغة المختصة بتنزيل (خطاب التكليف) على (خطاب الوضع). إن هذا المؤتمر يسعى لتحسين جودة الفتاوى عن طريق معالجة القصور الحاصل في ثلاث نواحٍ بالتحديد:

1 – القصور في إدراك الواقع

2 – القصور في فهم تأثير (كُلي الواقع) في الأحكام الشرعية في الجملة

3 – القصور في التعامل مع منهجية استنباط الأحكام بناء على العلاقة بين النصوص والمقاصد وبين الواقع

وهكذا فهذا المؤتمر يعالج وضعاً وموضوعاً : فقد نتج عن إهمال فقه الواقع، وعدم الالتزام بمنهجية منضبطة، ظاهريةٌ في التفسير، وجهلٌ بالحِكَم والتعليل، وتجاهلٌ للواقع عند التنزيل، فنشأت فتاوى تتضمن فروعاً بلا قواعد وجزئيات بلا مقاصد، تجانب المصالح وتجلب المفاسد، مما أوجد حالة من الفوضى الفكرية، تتفلت فيها الفتوى من الوسط وتنجذب إلى الإفراط أو التفريط، بل قد تتحول أحياناً إلى تطرف وحروب تسفك فيها الدماء المعصومة وتستباح الحرمات المصونة.

إن انعقاد هذا المؤتمر في دولة الإمارات العربية المتحدة يجسد مواصلة لدورها

الريادي كمنارة للاجتهاد الحضاري والفتوى المؤصلة المعتدلة والتميز في مختلف المجالات العلمية في ظل القيادة الرشيدة. كما يأتي ضمن مساعي مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي للإسهام في البحث العلمي الرصين وإمداد المفتين بما يعينهم على النهوض بمهمة الإفتاء الجليلة، واستكمالاً لمؤتمرات المجلس العلمية السابقة «مؤتمر فقه الطوارئ» (2021) بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي، والذي تناول نوازل جائحة كورونا، وما يتعلق بها من إشكالات شرعية، و«مؤتمر الاستيعاب الشرعي للمستجدات العلمية» (2023) والذي تناول القضايا الفقهية المتعلقة بمجالات كالطاقة المتجددة، والجينوم البشري، وأداء العبادات في المركبات الفضائية، واللحوم المستنبتة، والمتاجرة بالبيانات الضخمة، وغيرها.

العلامة الشيخ عبد الله بن بيه- "نحو توازن بين أصول الشريعة ومتغيرات الحداثة"- لبروفيسور- محمدو لمرابط اجيد

قرأتُ المقال الرائع للعلامة الشيخ عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيه، المنشور في جريدة الاتحاد الإماراتية بتاريخ 8 أغسطس 2024م، تحت عنوان: "فقه الواقع: نحو فتوى تستوعب أشكال الحداثة وإشكالات المعاصرة".

في هذا المقال، يقدم الشيخ عبد الله بن بيه نموذجًا يُحتذى به من قِبَل المدارس الفقهية الأخرى، حيث يدعو إلى تبني منهجيات أكثر انفتاحًا وتطورًا، مما يساهم في تجديد الفكر الإسلامي وجعله أكثر قدرة على التكيف مع التغيرات، تتماشى هذه الرؤية الإصلاحية لدى الشيخ عبد الله مع الاحتياجات الفعلية للمجتمعات الإسلامية المعاصرة، وتُقدم فهمًا عميقًا للتغيرات الاجتماعية والثقافية التي تؤثر على المسلمين اليوم، كما توضح بعمق كيفية تعامل الفقه الإسلامي مع التحديات التي تفرضها الحداثة والتغيرات الاجتماعية السريعة، من خلال فتوى مرنة ومتجددة تستجيب بشكل فعّال للتحولات التي يشهدها العالم، دون التنازل عن المبادئ الشرعية الأساسية.

يسعى المقال إلى تعزيز دور الفقه الإسلامي، ليكون جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية للمسلمين في العصر الحديث، من خلال استيعاب أشكال الحداثة وإعادة ربط الشريعة الإسلامية بحياة المسلمين بشكل يجعلها أكثر ارتباطًا بالواقع، ويسهم في حل مشكلاتهم الفعلية؛ ويرى الشيخ عبد الله أن الحداثة ليست عائقًا أو تهديدًا، بل إنها واقع يجب فهمه واستيعابه، بحيث تأخذ الفتاوى بعين الاعتبار التطورات التكنولوجية والاجتماعية والاقتصادية، مما يخلق توازنًا بين الحفاظ على أصول الشريعة الإسلامية والمرونة في تطبيقها بما يتناسب مع الواقع الجديد.

تكمن أهمية هذا المقال في أنه يقدم مقاربة تساعد في تجنب التشدد أو التساهل المفرط، ويدعو إلى فتاوى متوازنة تستند إلى اجتهاد دقيق. كما يقدم نموذجًا لكيفية التعامل مع القضايا الفقهية في سياق معاصر، وهو نهج يمكن أن يلهم مدارس الفقه المعاصرة لتبني مواقف أكثر انفتاحًا وتفهمًا للحداثة، بحيث يكون الفقيه واعيًا بالتحديات والتغيرات التي تواجه المجتمعات، مما يعزز دوره في توجيه المسلمين في قضاياهم المعاصرة من خلال فهم دقيق للسياق والواقع. ويحذر الشيخ من خطورة إصدار فتاوى دون اعتبار للواقع المعاش، حيث يمكن أن يؤدي ذلك إلى قرارات غير واقعية ومنفصلة عن حياة الناس، مما يزيد من خطر التشدد أو التساهل غير المبرر.

كما تبرز أهمية المقال في مساهمته في تعزيز الفهم العميق لفقه الواقع، وتشجيعه على تجديد الفقه الإسلامي بطرق تتوافق مع تطورات العصر، مع الحفاظ على جوهر الشريعة الإسلامية. ويحذر المقال من مخاطر الانصياع الكامل لضغوط الواقع الحديث، الذي قد يحمل انحرافات عن تعاليم الإسلام.

هذه الرؤية تجعل المقال مرجعًا هامًا للفقيه في وقتنا المعاصر وللباحثين في الدراسات الإسلامية، حول كيفية تطبيق الفقه الإسلامي على الواقع ، مع المحافظة على جوهر التعاليم الإسلامية دون التفريط فيها أو تجاهل التحديات الحالية

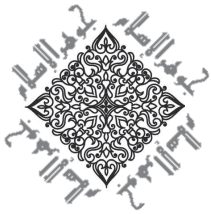

نظرات وتوجيهات
حول كتاب التنمية الذاتية في الإسلام

بقلم: الاستاذ صالح العَوْد

باحث وكاتب

أهداني مؤخّرا العلّامة الفاضل الشيخ فتحي الرّباعي حفظه الله: كتابا ـ أراه قَيّما ـ في موضوع مهمّ .. وشيّق.. بل وحَيَوي، في عصرنا، لأن المجموعة البشرية اليوم تعيش «**أزْمة**» نفسيّة، مع ما يتبعها من «**مأساة**» أخلاقية، على الصعيد: (الفردي، والأسري، والمجتمعي)، فنتج عن ذلك «**قَلَقًا**» ظاهرا في «السيرة.. والمَسيرة».

جاء هذا الكتاب النفيس في موضوعه الباهر، لِيَضع النقاط على الحروف، ويَحُلّ ـ مِن خلال فحواه ـ مشكلة مَنْ تاه عن معْرفة الصواب، واحتار في تلمّس السبيل الأقْوم، بعد أن وقف ينشد الخلاص، والهداية، والرعاية.

والكاتب الفاضل، ناشئ في هذا الميدان الشائك، لكنه اهتدى بعلمه، وخبرته، وممارسته، إلى كثير من الإيجابيات التي تُنجي، فتبعث الأمل في النفوس، وتهدي إلى الرشد، وتنقذ مِن الهلاك.

ألقيتُ ـ أوّلا ـ نظرة عَجْلى على (الفهرس العام)، فإذا هو مقسّم كما أراده الكاتب الفاضل إلى «أبواب» رئيسيّة: ثلاثة، ثمّ فصّلها تحت «فصليْن» اثنيْن. وأدْرجَ فيهما «عناصر» كثيرة، تنوّعتْ موضوعاتُها الجديرة بالقراءة، والوقفات المتأنّية، للاستفادة منها. وإن مادّة هذا الكتاب المهمّ: «علميّة» بامتياز، وهي قديمة حديثة، أصلها الأساس: «**رياضة النفس**»، و«**التربية والسلوك**»، و«**الأخلاق البشرية**»؛ ولهذا أطلق على الكتاب عنوان: (**التنمية الذاتية**)؛ وهي تسمية مستحدثة، مجاراة أو على منوال

مَن خاض في الموضوع من أعلام الغربيّين وأشهر الفلاسفة الذين عُنُوا بالموضوع من خلال وفود الحضارة الإسلامية إليهم؛ ومن هنا، فقد كشف لهم الغطاء العلّامة الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله حين قدّم رسالته لنيْل الدكتوراه في جامعة السوربون عام (1948م) بعنوان: (**الأخلاق في القرآن**)، فنالها بامتياز، مع التوصية بطباعتها على نفقة الجامعة، وفعلا طبعت بباريس.

إن علماءنا السابقين الأبرار رحمهم الله جميعا، قد طرحوا هذا الموضوع مبكرا منذ القرن الثاني الهجري، حين دخل الناس في دين الله أفواجا، ووفدت حضارات متعدّدة ومتنوّعة في مجتمعات المسلمين، لا قِبَل لهم بما حملتْه، وخلبتْ النفوس، وأفسدت العقول، وفتنت الناس في معاملاتهم وعلاقاتهم، فتصدّى لهذا الوافِد الجديد، من أولئك الأبرار، بما تركوه لنا ـ وهو شاهد عَيان ـ فكان من أوائلهم ـ بل على رأس القائمة ـ : الحارث المُحاسبي (توفي ببغداد سنة 243 هـ = 857 م)؛ وهو ممّن عاش «في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري، وأواخر النصف الأوّل من القرن الثالث الهجري.

وكانت «البِذْرة» في عِلمهم وعَمَلهم، قوله تعالى (أوّلا): ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ [**الشمس**: 7-8] ؛ ثمّ قول الملَك جبريل لسيد الخلق عليه الصلاة والسلام: « **اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

وأنا من خلال تصفحي للكتاب، وجدتُ الكاتب الفاضل قد تجاوَزَه ولم يذكره، إمّا غُفْلا، أو عن عدم معرفة به، مع أنه أشهر من نار على علم، أو لسبب آخر؛ ثمّ وجدتُ نُقْطة انطلاقه من الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي (توفي سنة 505 هـ = 1111م) جرْيا على نسَق غالبية المستشرقين، فإنهم غالبا ما يتحدّثون إلا على ما يعرفونه، كالغزالي، وابن خلدون، وابن رشد، وابن سينا، وغيرهم. ربّما لأن الإمام الغزالي قد ملأ الدنيا بأفكاره وأسراره، وكتبه الذائعة في كل مكان وزمان، لكن الحق أحق أن يقال، فإن الإمام الغزالي «تَبَطَّن في كتبه، ما قاله ودعا إليه، السابق عليه، وهو الإمام الحارث المُحاسبي»؛ وهو ما أشار إليه الدكتور عبد الحليم محمود في رسالة الدكتوراه بجامعة السوربون، وهي تحقيقه كتاب: (**الرعاية لحقوق الله/ المحاسبي**).

ثمّ إني وجدتُ الكاتب الفاضل، قد ركّز اهتمامه على الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله (توفي سنة 751 هـ = 1350م) حيث اهتم به أكثر من غيره، كشخصيات عظيمة وبارزة سبقتْه أو ظهرتْ بعده، ومن أولئك على سبيل الاستذكار فقط: الواعظ الشهير، الذي كان يحضر في حلقة درسه وغالبية مجالسه: (عشرة آلاف نفس... ويحضر كذلك السلطان، والأمراء، والعلماء...وتاب في مجالسه أكثر من مائة ألف...)؛ إنه **الإمام عبد الرحمان بن الجوزي** (توفي سنة 596هـ = 1199م) رحمه

الله، وهو صاحب كتاب: (**تلبيس إبليس**) وكتاب: (**الطبّ الرُّوحاني**)، وغيرهما كثير.

وكان في الميدان، ممن يُشار إليهم بالبنان، هؤلاء الفطاحل: الجُنَيد، ومعروف الكَرْخي، وبِشْر الحافي، والسّريّ السَّقَطي... إلخ.

والكاتبَ الفاضل ذكر بعضا منهم، وتمنّيتُ له المزيد منهم، وعسى أن يستدرك ذلك في طبعة لاحِقة إن شاء الله.

تبقى «نقطة» في هذا المقال، وهي: الفارق بين الأزمة النفسية، المصطلح عليها حديثا، وبين الانتصار على النفس، في سبيل تسخيرها لخدمة المجموع، فالأزمة النفسية ـ على حد تعبير وتوجيه الباحث عبد القادر أحمد عَطا ـ: «علة عصبيّة، أما الانتصار على النفس، فهو قمّة الاعتدال على المستوى العالمي، وقمّة الأخلاق الإنسانية المرضية عند الله، وعند المحتاجين إلى العَوْن من الناس...».

ثمّ يختم الأستاذ الباحث أحمد عَطا رحمه الله ذلك بقوله: «ولكن، ما حيلتنا في العصر ومصطلحاته، وما حيلتنا في انقياد المفكرين الأعمى إلى كل ما هو أجنبيّ عن بيئتهم وتقاليدهم، وما حيلتنا في ظلمات القلوب، وإغراقها في الأضواء الكاذبة، والتراث المَسْموم».

وفي الختام أقول، ومن الله تعالى الرضا والقَبول:

إن رسم الطريق لصفاء الروح، ونقاء النفس، وبعث مكارم الأخلاق في البشر، وهو ما يعتبر «أساس الإصلاح» لكل المجتمعات، التي أوْشكت على الانهيار، ثم السقوط مَهْما كانت هُوِيَّتها؛ كما لا بد لي أن أنبّه الذين لا يعرفون، وأذكّر الذين يعرفون: كان الإمام الحارث بن أسد المحاسبيّ من «أوائل المؤسسين للدراسات النفسيّة في تراثنا العربي / الإسلامي» وله من الكتب ما يزيد على مائتي كتاب، وهي «في أغلبها الأعمّ: في هداية النفس، وترقيق القلوب، والسير بالأرواح إلى عالم الفلاح».

من أهمّها وأشهرها: كتاب (المسائل في أعمال القلوب والجوارح) / وكتاب (آداب النفوس) / وكتاب (رسالة المسترشدين) / وكتاب (رسالة الوصايا) / وكتاب (رسالة المراقبة) / وكتاب (النصائح).

وحسبُنا من ذلك كلّه، حديث نبيّنا المصطفي صلى الله عليه وسلّم إذ قال، تعليما لنا وتفهيما: «**إنما بُعِثْتُ لِأُتَمّم مَكارِمَ الأَخْلاق**».

وفي الختام، فإني أبارك المؤلِّف القدير الأستاذ حسونة قيدارة في طرْق هذا الموضوع النفيس، والمحتاج اليه في عصرنا وفي كل عصر.. أثابه الله، وسدّد خطاه، ونفع بما خطّتْ يداه.

وحدة الأمة في مواجهة التحديات

بقلم فضيلة الشيخ أحمد الطيب شيخ الازهر

رئيس مجلس حكماء المسلمين

عقدت جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية بجاكرتا، لقاءً جماهيريًّا لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، رئيس مجلس حكماء المسلمين، بمناسبة زيارته لإندونيسيا، وذلك بحضور أساتذة الجامعة وباحثيها والطلاب الإندونيسيين من مختلف الجامعات، وعدد من الوزراء والسفراء ورؤساء المؤسسات الدينية، وذلك تحت رعاية السيد جوكو ودودو، رئيس جمهورية إندونيسيا. وألقى فيهم فضيلة الشيخ أحمد الطيب الكلمة الآتية قال فيها :

«انَّ أمتنا التي أنارت العالم كله بعد أن أطبقت عليه الظلمات من كل جانب، وصححت بقرآنِها الكريم ورسولِها العظيم مسارَ البشرية، ووضعت الإنسانيَّةَ من جديد على المَحَجَّــةِ البيضاء التي ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالكٌ - تعاني الآن -كما تعلمون- من أعراض تشبه أعراض الأمراض المتوطنة، لا تكاد تعالج منها عرضا حتى تعيا بعلاج مائة عرض وعرض.

المتأمل في عظمة الحضارة الإسلامية وقوتها التي تأسست على العدل والإنصاف، يعجب كثيرًا وهو ينظر إلى ما آلت إليه الآن، وهي وإن لم تكن قد آلت إلى زوال أو إلى فناء، فإنها باليقين قد آلت إلى شيء من الضعف والانزواء لا تكاد تخطئه عيون أبنائها قبل عيون الآخرين.

انَّ من مُدهشاتِ هذه الحضارة أنها -حتى وهي تعاني من الهُزالِ- تبعث الأمل الذي لا حدود له في إعادة التعافي والإحياء والتجديد. إنها تشبه الجمرة المتقدة التي لا تنطفئ رغم ما يتراكم عليها من طبقات الرماد الكثيف بين الحين والحين

في تاريخها المشرق الطويل. والناس لا يعلمون -حتى هذه اللحظة- حضارة بقيت وثبتت على وجه الزمان أربعة عشر قرنا رغم الضربات القاتلة التي وجهت وتوجه إليها - غير حضارة الإسلام والمسلمين.

انَّ هذه الحضارة ذات التاريخ المجيد تبدلت بها أقدارها اليوم؛ فصارت تتسول من الغرب فلسفتها وثقافتها ومناهجها في التربية والتعليم والاجتماع والاقتصاد، وكأن أهلها أمة همجية قادمة من مقابر التاريخ، لم يكن لهم -من قبل- عهد بعلم، ولا أدب، ولا فلسفة، ولا تشريع، ولا تاريخ، ولا فنون، وكأنهم لم يُعلموا الإنسانية كلها، ولم تُظَلِّلها بحضارة راقية في الشرق والغرب قرونا طويلة.

إن داء هذه الأمة هو: الفرقة والاختلاف والتنازع الداخلي، وهو داء خبيث، طالما شكل نقطة الضعف التي نفذ منها المستعمرون لبلاد المسلمين في القرنين الماضيين، وهو هو الداء الخبيث الذي يتسلل منه الاستعمار الغربي من جديد في القرن الواحد والعشرين.

انَّ مقولة «فرق تسد»، والتي حفظناها صغارا يعاد توظيفها الآن تحت لافتات صراع الحضارات، والفوضى الخلاقة، والعولمة، ونهاية التاريخ، وغيرها من اللافتات التي ترفع هنا وهناك في بلاد المسلمين ليُقتَلُوا تحتها، أو لِيُقاتِلَ بعضهم بعضا نيابة عن المستعمر الجديد. يحدث هذا والقرآن الكريم الذي نردده صباح مساء، ونتسابق في تحفيظه للأطفال، ونتباهى بقدرة أطفالنا على حفظه واستظهاره، هذا القرآن الكريم يحذر المسلمين ويقرع سمعهم ليل نهار بقوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَّ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال: 46].

ان سؤالًا يفرض نفسه على كل باحث مهموم بهذا الأمر، هو: كيف يَتسالَمُ المسلمون فيما بينهم؟ إن هذا السؤال المؤلم تطرحه الساحة الآن بصورة قاتمة، بل شديدة القتامة.. ويكفي أن نشير فقط إلى أن خطاب الدعوة والدعاة، والذي يناط به جمع الشمل، أصبح في أحيان كثيرة - هو المسؤول الأول عن فرقة المسلمين وتمزقهم، بحيث أصبح بأس شباب المسلمين بينهم شديدا: كم من مذهب في ساحة الدعوة الآن يقف من وراء تباغض شباب المسلمين وتنابذهم وتدابرهم؟ وأين ذهبت قضايا الأمة المصيرية من اهتمامات هؤلاء الدعاة الشباب وهؤلاء الداعيات الشابات؟ ألا تستحق هذه القضايا الكبرى حلقة واحدة من حلقاتهم التي تكاد تحرم الحلال وتحلل الحرام؟

هل يعلم شبابنا عن القدس وعن المسجد الأقصى وما يعانيه، مثل ما يعلم من خلافيات الأشعرية والسلفية والصوفية؟ وهل يشغل ذهنه البحث في واقع أمته مثل

ما يشغله البحث في قضايا خلافية تافهة ولى زمانها؟ وهل يقبل على مقرراته العلمية الجامعية بمثل ما يقبل به على كتب أو كتيبات لهذا الداعية أو ذاك؟ بل كيف أعرض شبابنا عن فرض محتم لازم؛ هو وحدة المسلمين، وتفرغ لفقه يختلط فيه المندوب بالواجب والمكروه بالمحرم؟

ان الفروق قد تلاشت أو كادت تتلاشى، بين الأحكام الشرعية الخمسة، وانشغلت الأسرة في المجتمع الإسلامي بقضايا جزئية لا إلزام في فعلها، وأهملت كليا قضايا محورية ذات خطر عظيم في شريعة الإسلام، مثل: بر الوالدين والإحسان إلى الجار، وقيمة العمل وقيمة الوقت والنظافة والرحمة بالناس وغير ذلك من الفروض الأخلاقية والاجتماعية التي تراجعت إلى ذيل القائمة في ترتيب الواجبات الشرعية في هذا الفقه الغريب.

وأمر آخر يدفع الأمة إلى هذا الاتجاه البائس؛ ذلكم هو محاولة العبث الواضح بفقه الأئمة الأربعة، وفرض فقه جديد يوجب على الناس ما لا يجب، ولا يعقل أن يجب، مثل: التنفل قبل صلاة المغرب، أو زكاة الفطر بنوع واحد من الحبوب لا يجزئ غيره، وهو أمر لم تعرفه جماهير الأمة ولم تعتده مساجدهم من قبل، ولم يجر عليه العمل كما يقول فقهاؤنا المعتمدون.

ان مما يجب أن نتوقف أمامه طويلا ظاهرة كفيلة بهدم المجتمع الإسلامي والإتيان عليه من قواعده، لو تركت دون مواجهة بفقه صحيح وعلم خالص صريح، تلكم هي الجرأة على التكفير والتفسيق والتبديع، وما يسوغه هذا العبث من استباحة النفوس والأعراض والأموال. وكيف يستقيم انتشار مثل هذه الأفكار في أمة أجمع علماؤها وأئمتها من المدارس الثلاث على المقولة الذهبية، التي حفظناها في أروقة الأزهر ونحن طلاب صغار؛ مثل: لَا نُكفِّرُ أحدًا من أهلِ القبلةِ، وَنُصلِّي خلفَ كلِّ بَرٍّ وفاجرٍ، وَلا يُخرِجُ مِن الإسلامِ إلَّا جحدُ ما أَدخَله فيه، وغيرها من القواعد التي حفظت للأمة تماسكها ووحدتها عبر التاريخ، وانطلقت في معتقداتها هذه من قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته».

و اني ادعو أبناء الأمة إلى الجد والعمل غالوقت الآن وقت جد وعمل، وليس وقت خطب ومواعظ، والأمم من حولنا تعمل في صمت مريب، وفي تدبير ومكر شديدين، وقد مللنا من الكلام الذي لا يثمر عملا على أرض الواقع. وأذكركم بالمقولة الذهبية لإمام دار الهجرة وإمامنا الإمام مالك -رضي اللَّه عنه وأرضاهُ- حين قال: أَكرَهُ الكلامَ فيما ليسَ تحتَه عملٌ.

أدوات النظر الاجتهادي المنشود
الأداة السادسة: مبادئ العلوم الإنسانية المعاصرة[1]

بقلم الدكتور قطب مصطفى سانو

الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي جدة

إذا كنا قد أبدينا ما يناط بعلم الخلاف من اهمية ودور غير منكور في تيسير التوصل إلى غايتي النظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر من فهم سديد للوحي، وفهم عميق بالواقع المعيش، وربط بين وحي السماء وواقع الأرض في انسجام وتكامل وترابط، تكملة لذلك، فإننا نرى انه من المتعذّر اليوم ان لم يكن من المستحيل في ضوء التحديات التي تعيشها أمتنا المجيدة على سائر مناحي الحياة أن يؤدي النظر الاجتهادي الدور المنوط به والمتمثل في حسن توجيه الخطاب الإسلامي المعاصر، وحسن ترشيد الصحوة المباركة، وإمدادها بنظرات ثاقبة ووسائل قادرة على مجابهة كل العراقيل والتحديات والنوازل، ما لم يتزود المؤهلون للنظر الاجتهادي بزاد كاف غير مغشوش بالادوات المعينة على حسن تفهم الواقع وسبل تفعيله بالمراد الالهي.

(1) ثمة اختلاف بين العلماء في تسمية تلك المعارف والعلوم التي تتمحور حول دراسة الإنسان، ودراسة أحواله النفسية والاجتماعية والسياسية والتاريخية والاقتصادية والقانونية والأدبية والتربوية الخ.. فبعضهم يصفون هذه العلوم بالعلوم الإنسانية باعتبارها علوما تحاول أن تدرس الإنسان من سائر الجوانب المختلفة، وبعض آخرون يصفون هذه العلوم بالعلوم الاجتماعية باعتبار أن الجانب الاجتماعي في الإنسان أهم جانب يؤثر في الإنسان نفسيا وسياسيا واقتصاديا وقانونيا وتربويا الخ.. وعلى العموم، فان مصطلح العلوم الإنسانية أوفى وأشمل، وخاصة أن ثمة فرعا من فروع هذا العلم غدا يعرف بالعلوم الاجتماعية أو علم الاجتماع. فليتأمل!

إن تحقيق غاية ومقصد حسن تنزيل المراد الالهي من النظر الاجتهادي يتوقف توقفا كليا على معرفة المتصدّي للنظر الاجتهادي في هذا العصر بمبادئ ما نصطلح عليه في هذه الدراسة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، ونعني بها تلك المعارف التي تعنى بدراسة الإنسان وواقعه المعيش دراسة اجتماعية، ونفسية وتربوية وسياسية، واقتصادية وقانونية وتاريخية، محاولة لتقديم تفسير معقول ومقبول لسائر الظواهر المؤثرة في توجه الإنسان وفي تطلعاته ورغباته ومشاكله، كما تعنى تلك المعارف بتوضيح الوسائل والسبل المعينة على إدراك حسن وتقويم للواقع الذي يعيش فيه الإنسان، وللأدواء التي تطرأ على ذلك الواقع، وتؤثر فيه تأثيرا إن ايجابا أو سلبا.

فهذه المعارف تعتبر بحق أهم الأدوات والآليات الضرورية لحسن فهم الواقع المعيش، ولحسن إدراك أبعاد الإنسان، والتعرف على مداخل شخصيته، وطرائق تفكيره، إضافة إلى الأسباب الكامنة وراء سائر مشكلاته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية والتربوية.

ولئن سبق أن أصّلنا القول في أن للبيئة والظروف والتحديات الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية أثرا ودورا كبيرين في تغيير أدوات النظر الاجتهادي بل في تغيير مفهوم النظر الاجتهادي ذاته، ودائرته ومجالاته، فإن هذه المعارف بما تشتمل عليه من أدوات ومناهج تعتبر خير وسيلة معينة على حسن ضبط الاجتهادات والآراء المتأثرة بالظروف والبيئة بغية اعادة النظر فيها من جديد وعرضها على بساط المراجعة والنقد والتمحيص والتدقيق «..فإذا سلّمنا بأن المجتهد هو ابن عصره وبيئته، وان الاجتهاد لبسط الدين على واقع الناس، وتقويم مسالكهم بنهجه يجب أن ياخذ بعين الاعتبار معطيات العصر، ومشكلات الناس، الذين هم محل الحكم الشرعيّ، فلا بدّ لنا من القول: بأنّ هذه المسلمة لحقت بها إصابات بالغة...من خلال ما نلاحظه من انفصال المجتهدين والمفكرين عن همّ أمتهم، وقضايا عصرهم ومشكلاتهم، والدوران في فلك الاجتهاد والأفكار البشرية السابقة، التي على الرغم من دقّتها وتميّزها وإبداعها، إلا أنها جاءت ثمرة لعصر معيّن، بقضاياه ومشكلاته، وأقل ما يُقال فيها: أنها لم تكن محصّلة لهذا العصر، وأن الالتجاء إليها، والاحتماء بها، قد يحافظ عليها حفاظا تاريخيا، لكن الاقتصار على ذلك، دون القدرة على الإفادة منها، كمعين للفهم والنقل الثقافي.. يفقدها قيمتها، ويبعد بها عن إغناء حياة المسلمين، فتنقلب معوقا ومانعا حضاريا..»[1]

(1) انظر حسنة، عمر عبيد: تأملات في الواقع الإسلامي (بيروت، المكتب الإسلامي طبعة أولى 1990م) ص 19-20 باختصار

وبناء على هذا، فإن أهمية إلمام المتمكن من ادوات النظر الاجتهادي المنشود بمبادئ هذه العلوم تكمن في هذا الدور الهام الذي يمكن أن تؤديه هذه الأداة في تيسير التوصل إلى حسن تصور وتجسيم للمعاني التي تدل عليها نصوص الوحي كتابا وسنة كما تكمن أيضا في كونها الآلة المعينة على لاإدراك الشمولي المؤصل والمؤسس لمرامي النصوص ومقاصدها وغاياتها، إضافة إلى ما يناط بهذه الأداة من دور جبار في إعادة النظر في كثير من الاجتهادات السابقة التي رامت ذات يوم تحديد المراد الالهي من النصوص متأثرة- بطريقة مباشرة وغير مباشرة- بالاعراف والتقاليد والظروف والبيئات والأحوال، والإمكانات[1] ورحم الله الإمام الشافعي فقد ألمح ذات يوم إلى أهمية هذه الأداة التي لم تكن عصرئذ قد تبلورت تبلورا ظاهرا، فقال ما نصه: «.. فاما من تم عقله، ولم يكن عالما بما وصفنا، فلا يحلّ له أن يقول بقياس، وذلك انه لا يعرف ما يقيس عليه، كما لا يحل لفقيه عاقل أن يقول في ثمن درهم ولا خبرة له بسوقه..»[2].

وأما ابن القيم في القرن الثامن الهجريّ، فقد أومأ إلى هذه الأهمية الكبيرة لهذه الأداة، وقال ما نصّه:

«.. **هذا أصل عظيم (يقصد معرفة الواقع) يحتاج اليه المفتي والحاكم. فإن لم يكن فقيها فيه، فقيها في الأمر والنهي، ثم يطبق أحدهما على الآخر، وإلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح وتصور له الظالم بصورة المظلوم، وعكسه، والمحقق بصورة المبطل، وعكسه، وراج عليه المكر، والخداع، والاحتيال... بل ينبغي له أن يكون فقيها في معرفة مكر الناس، وخداعهم، واحتيالهم، وعوائدهم، وعرفياتهم، فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان، والمكان، والعوائد، والأحوال، وذلك كله من دين الله...**»[3]

حتى إذا ما أقبل قرننا هذا، وشهدت هذه المعرفة بفروعها أعظم تطور وتقدم

(1) وليس صحيحا الزعم بأن اجتهادات السابقين تسد حاجات العصر، ذلك لأن كثيرا من تلك الاجتهادات بحاجة ماسة إلى مراجعة وتطوير وربما للاستغناء عنها، ولعل الاجتهادات التي دارت رحاها حول المرأة وشؤونها من حيض ونفاس وحمل.. من اوضح الاجتهادات المحتاجة إلى مراجعة ونقد على ضوء التطورات العلمية الحديثة الطبية.. وكذلك الحال في كثير من اجتهادات سلفنا رحمهم الله حول العلاقات الدولية، وتصنيف الدار، واحكام أهل الذمة وحقوقهم الخ..
فقد تاثر كثير منها بواقعهم وظروفهم وبيئتهم، وأما وقد تغير ذلك الوضع الذي كان قائما، فإن انشاء اجتهادات جديدة مراعية للظروف والبيئة لا بد منها وأنى يتم ذلك في غياب علم ودراية بمبادئ هذه العلوم!

(2) انظر الرسالة الشافعي 511

(3) انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم 4/ 204 باختصار

لها في ديار غير المسلمين، وغدا كل فرع فيها فنا قائما بذاته، عندئذ ظهرت دعوات مخلصة ومكرورة من لدن كثير من مفكّري الأمة والعاملين في مجال ترشيد الصحوة المباركة، إلى ضرورة تزوّد مجتهدي الأمة في هذا العصر من هذه المعرفة، والتمكن من أصولها ومبادئها الأساسية، بل اختلف أولئك المفكّرون إلى القول بانه من المتعذّر ممارسة النظر الاجتهادي المنشود في ضوء صنوف التحدّيات وأشكال النوازل التي تموج بها الحياة المعاصرة ما لم يتم التمكن من هذه المعرفة تمكنا موازيا بالتمكن من المعرفة الدينية التي تحوم حول النصّ الشرعي. وفي هذا يتساءل فضيلة الشيخ القرضاي في عجب قائلا: «..كيف يستطيع الفقيه المسلم أن يفتي في قضايا الاجهاض، أو شكل الجنين، أو التحكم في جنسه، وغير ذلك من القضايا الجديدة إذا لم يكن لديه قدر من المعرفة بما كشفه العلم الحديث عن الحيوانات المنوية الذكرية، والبويضة الانثوية، وطريقة تلاقي البويضة بالحيوان المنوي، وتكون الخلية الواحدة منهما... وقضية (الجينات) وعوامل الوراثة.. الخ هذه القضايا التي قد ينكرها بعض المشايخ الذين لم يدرسوا هذه العلوم الكونية.. وأي معهد ديني يستبعد هذه العلوم الكونية من مناهجه لا يمكن أن يعد رجالا قادرين على الاجتهاد في قضايا عصرهم..»[1] وأما الدكتور حسن الترابي، فيذهب إلى أبعد من هذا كله، ويقرر أن اهمية علوم الإنسان لا تقل عن أهمية علوم الشريعة بالنسبة لمن يسعى إلى نيل رتبة النظر الاجتهادي في هذا العصر، فكما لا يصح للمرء أن يجتهد إذا لم يكن متمكنا من علوم الشريعة، فكذلك لا يصح له في هذا العصر أن يمارس النظر الاجتهادي إذا لم يتمكن من العلوم الإنسانية والاجتماعية تمكنا كافيا، وفي هذا يقول ما نصه: «..ولا يمكن أن نجتهد إلا إذا تعلمنا علوم الطبيعة كما نتعلم علوم الشريعة ذلك أن علم الطبيعة يقصد ما يصطلح عليه بالعلوم الإنسانية والتطبيقية هو الذي يعرفك بالواقع وأدوائه، ومهما حصل لك من العلم الديني بمعالجات الشريعة وبأدوية الشريعة، فلا بدّ لك من تشخيص المجتمع لتعلم الداء، ثم تقدّر ما هو الدواء الشرعي المعين الذي يناسب ذلك المجتمع، وذلك يستدعيك أن تدرس المجتمع دراسة اجتماعية اقتصادية وأن تدرس البيئة الطبيعية دراسة فيزيائية، وكيميائية حتى تستطيع أن تحقّق الدين بأكمل ما يتيسر لك. ولا يسعنا اليوم أبدا أن نحقق الدين بمناى عن هذه العلوم الطبيعية، لأن الله سبحانه وتعالى قد سخّر لنا من العقل ما أحاط بهذه العلوم، وإنه لسائلنا عنها، إن السمع والبصر والفؤاد مسؤول عنها عند الله

(1) انظر الاجتهاد في الشريعة –القرضاوي- 47 وما بعدها باختصار

سبحانه وتعالى. لا بد من دراسة العلوم الطبيعية التي تمكننا من إعداد القوة بأقصى ما نستطيع في تنفيذ حكم الله سبحانه وتعالى..»[1]

واما المفكر الإسلامي المعاصر الأستاذ عمر عبيد حسنة، فيؤصل القول في اهمية هذه المعرفة وضرورته للنظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر، قائلا: إن «..هذه المعرفة بما تقدمه من نتائج تصبح ضرورة شرعية، وأعتقد انها تقع ضمن إطار الفروض العينية للذي يتصدى لعملية الاجتهاد وبيان المراد الالهي، وبسطه على واقع الناس، والحكم على مسالكهم لتتم عمليّة الموافقة والتكيف بين الحكم ومحلّه بدقّة..ولعل خطورة توقف العلوم الاجتماعية والإنسانية، في أنها حرمت المفكر والمجتهد من التعرف إلى ساحة عمليه، وأضاعت عليه خارطة الطريق التي يحاول أن يسلكها لتنزيل المراد الالهي على واقع الناس، وتحقيق تقويم سلوكهم بدين الله وامتلاك شروط التغيير السليمة، ولا مناص من الاعتراف اليوم بأن آليات العلوم الاجتماعية تطورت تطورا كبيرا على ايدي غير المسلمين، وبلغت شأوا واسعا في معرفة الإنسان، الأمر الذي لا مندوحة عنه لبسط الإسلام على حياة الناس، وإلا كان التعامل مع مجهول، لقد توقف العقل المسلم عن السير في الأرض والتعرف على تاريخ الأمم في النهوض والسقوط، واكتشاف آيات الله في الأنفس والآفاق وآليات التغيير الاجتماعي ...فظنّ كثير من المجتهدين أن العملية الاجتهادية تكفي لها الرؤية النصفيّة، وهي الوصول إلى معرفة الحكم الشرعي، أما دراسة محل الحكم، والكيفية التي يتم بها بسطه على الواقع، وطبيعة هذا الواقع بتركيبه المعقّد، وأسبابه القريبة والبعيدة، فلم تأخذ الاهتمام المطلوب، فانفصل الدين عن الحياة، وانتهى الفقه إلى تجريدات ذهنية وأراجيز حفظية لا نصيب لها من الواقع..»[2]

وبناء على ما سبق، يمكن القول بأن قاعدة «**لا ينكر تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأعراف والعادات**..»[3] ليست سوى دليل واضح على اهمية هذه الأداة

(1) انظر قضايا التجديد (نحو منهج اصولي) دكتور حسن الترابي (الخرطوم، معهد البحوث والدراسات الاجتماعية، طبعة أولى 1990م) 176-177 بتصرف واختصار

(2) انظر: تأملات في الواقع الإسلامي عمر عبيد حسنة (بيروت، المكتب الإسلامي طبعة أولى 1990م) 20-21 باختصار وتصرف

(3) وردت هذه القاعدة في مجلة الأحكام العدلية، وفي شرح القواعد الفقهية للشيخ الزرقاء، وفي المدخل الفقهي العام للزرقاء الابن، ولكن بصيغة (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان..) والمراد بتغير الأحكام هو تغير الاحكام المستندة على العرف والعادة والمصلحة، فإذا تغيرت العادة وارتفعت المصلحة يتبع ذلك تغير الأحكام المرتبطة بها...انظر دُرر الحكام في شرح مجلة الأحكام علي حيدر تعريب فهمي الحسيني (بيروت، دار الجيل طبعة أولى 1991م) 1/ 47،

ودورها الكبير في تيسير التوصل إلى معاني نصوص الوحي كتابا وسنة من جهة، وفي ضمان حسن تنزيل المراد الالهي في الواقع من جهة أخرى، إضافة إلى كونها أهم وسيلة موصلة إلى إدراك المآلات التي تنتهي إليها الأوامر والنواهي الشرعية عند وقوعها الفعلي في أرض الواقع. ومردّ هذا كله إلى طبيعة الأفهام البشرية المستنبطة من النصوص الظنية الدلالة، والتي لا تخلو بأي حال من الأحوال من التأثر بالعوامل والظروف الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مما يبرّر ضرورة بقائها في دائرة المراجعة المستمرة الدائبة تبعا لتغيّر العوامل والظروف الفكرية والاجتماعية والسياسية المؤثرة فيها ان ايجابا أو سلبا..

إنه من المتعذّر إدراك حقائق واسباب التغيرات والتطورات التي تطرأ على الواقع دونما استعانة بهذه المعرفة وفروعها المتشعبة والمتخصصة في تقديم تفسير معقول متزن لسائر الظواهر والتغيرات الطارئة على الواقع المعيش. ومن هنا، تاتي أهمية اعتبار هذه الأداة إحدى الأدوات الضرورية للنظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر، بوصفها الأداة المشتملة على المعارف القادرة على تجلية أدواء الواقع وسبل علاجه، وعلى رسم الوسائل الكفيلة على تحقيق قيومية الدين على الواقع، وتسديد الحياة بتعاليم الدين السامية. وعليه، فلا بدّ للمتصدي للنظر الاجتهادي من «..**الاستيعاب المعرفي الشامل للواقع الإنساني، وهذا لا يتأتى له من مجرد المعايشة والنزول إلى الساحة الأمر الذي لا بُدّ منه وإنما النزول والتزود قبله بآليات فهم هذا الواقع، من العلوم الاجتماعية التي توقفت في حياة المسلمين منذ زمن، ذلك أن عدم الاستيعاب والتحقق بهذه الشروط اللازمة لعملية الاجتهاد، أدّى إلى انفصال أصحاب**

وشرح القواعد الفقهية أحمد الزرقاء، تقديم مصطفى الزرقاء وعبد الفتاح أبو غدة، ومراجعة عبد الستار أبو غدة (دار الغرب الإسلامي، طبعة أولى 1983م) 173، والمدخل الفقهي العام مصطفى أحمد الزرقاء (دمشق، مطبعة طربين طبعة عاشرة 1968م) 2/ 924 إن هذه الصياغة للقاعدة وشرحها نخالهما محل نظر، وذلك لأن الأحكام الشرعية نفسها لا تعرف تغيرا ولا تبدلا ولا تطورا وإنما الذي يتغير في حقيقة الأمر هي أفهام تلك الأحكام، وذلك لأن الحكم الشرعي كما يعرفه جمهور علماء الاصول هو خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء أو تخييرا أو وضعا. وهذا الخطاب الشرعي الكتاب والسنة ثابت لم ولن يعرف تغيرا ولا تحولا ولا تبدلا منذ أن لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى... ولعله لأمر ما أحسن الإمام ابن القيم بهذا فأبى إلا أن تكون صياغته للقاعدة بالصياغة المذكورة أعلاه (لا ينكر تغير الفتوى..) وذلك لأن الفتوى في حقيقتها هي فهم الفقيه للحكم الشرعي الذي يبينه لمن استفتاه، وهذا الفهم قابل للتغير والتبدل والزيادة والنقصان وربما الإلغاء. ولهذا، فإننا نرى انه ان كان لا بد من الإبقاء على صياغة هذه القاعدة (لا ينكر تغير الاحكام) فليُضف إليه قيد (أفهام)، فتصير (لا ينكر تغير أفهام الأحكام بتغير الازمنة والأمكنة والأحوال والعادات...) هذا أولى من الصياغة الاولى الفضفاضة...

المشروع الإسلامي عن واقع الحياة، وإن لم ينفصلوا عن ضمير الامة التي لا تزال ترى في المشروع الإسلامي بوارق الامل للانقاذ والتغيير...»[1] وصولا إلى المقصد الاسمى من التشريع المتمثل في إخراج العبد من أن يكون عبدا لهواه إلى أن يكون عبدا لخالقه جلّ جلاله.

وإذ الأمر كذلك، فإننا نستعجل بالقول بأنه من الوارد أن يتعجب متعجبون من اعتبارنا إدراك هذه المعارف الإنسانية أداة من ادوات النظر الاجتهادي المنشود في هذا العصر، ذلك لأن جيل الصحابة عليهم رضوان الله وأجيال التابعين لهم بإحسان، ما كانت لهم معرفة شاملة بمبادئ هذه المعارف والعلوم الحديثة النشاة نوعا ما، بل إنه لم يرو أن أحدا منهم أشرف على مبادئ هذه العلوم برمتها، ومع ذلك، فقد فهموا نصوص الوحي، وصدروا عن فهمهم لها صدورا حسنا، فأنى تستقيم دعوى كهذه في هذا العصر؟!

لرفع هذا التعجب ودفع هذه الاشكالية يمكن القول بأن المعروف عن الصحب الكرام رضي الله عنهم التفاوت في المستوى المعرفي والعلمي، إذ قد كان منهم من كان عالما بالحرب، وكان منهم آخرون علماء بالتجارة والسياسة الخ...ولذلك، فقد انتهجوا في أفهامهم للنصوص المنهج الجماعي المشترك في أكثر الأحيان إذ كان يتم في ذلك الاستعانة بمن كان عارفا بالاجتماع في المسائل الطبية، وبمن كان عارفا بالحرب بالمسائل الحربية، وبمن كان عارفا بالاجتماع في المسائل الاجتماعية وهلمّ جرّا [2] ولئن لم نقف نحن على تفصيل مدوّن لهذا الجانب في حياة آحادهم، فلا يعني عدم توافره فيهم، ولذلك، فإن نفي هذا الأمر عنهم يحتاج إلى بينة تشهد له، شأنه في ذلك شأن اشتراط معرفة الاصول وعلم الحديث وغيرها، فمن المعلوم أن هذه الفنون كلّها مستحدثة، ولكنها كانت معلومة للصحب الكرام وان لم تدوّن في عصرهم. وهب انه لم تتوفر لآحادهم معرفة بمبادئ هذه العلوم، فهل ثمّة مانع

(1) انظر تأملات في الواقع الإسلامي مرجع سابق 22

(2) قد يفهم بعض الناس أن المنهج الجماعي الذي كان يسلكه الخلفاء في الافتاء كان عشوائيا، بمعنى كانوا يدعون اليه كلّ من هبّ ودبّ إلى الاجتماع في البحث عن حلول لطارئة أو حادثة ما. والحال أن ذلك الاجتماع لم يكن يدعى اليه إلا من كان من أهل العلم بموضوع الاجتماع، واهل المعرفة بحلولها الناجعة، إذ أن مبنى الشورى في الإسلام يقوم على مشاورة أهل الاختصاص وذوي الدراية والمعرفة بالموضوع المبحوث، وهذا أمر بديهي، وذلك لأن استشارة من لادراية له بالموضوع لا تعدو أن تكون تضييعا للوقت وتشتيتا للجهود ولا يخفى ما في كلا الأمرين من تجاوز وتغافل عن الحكمة السامية وراء مشروعية الاستشارة في الإسلام

من أن يعتبر هذا العصر إحدى أدوات النظر الاجتهادي المنشود بناء على التغييرات والتطورات الجذرية التي اقتحمت شتى مجالات حياتنا، ولا يكاد جانب من جوانب الحياة يخلو من التأثر بهذه التغيرات والتطورات على سائر المستويات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

إنه لا تثريب في الاعتداد بهذه الأداة في هذا العصر ضمن الادوات المؤهلة للنظر الاجتهادي المنشود مواكبة لطبيعة ونوعية التحديات والنوازل التي تجتاح حياتنا المعاصرة. فتحديد الادوات المؤهلة للنظر الاجتهادي كما اسلفنا واثبتنا من قبل كان ينبغي أن يخضع لطبيعة التغيرات والتحديات والنوازل الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يعايشها عصر من العصور، ولا ينبغي تجاوز هذا البُعد عند الهمّ بتحديد الادوات الواجبة التوافر فيمن يصبو إلى التصدّي للنظر الاجتهادي في عصرٍ من العصور.

وإن أيّ تغافل عن هذا البُعد وهذا المنطلق في التحديد يبوء بإعداد جيل أو أفراد غير قادرين على التوصل إلى حسن فهم للمراد الالهي من جهة، ولا قادرين على ضمان تنزيل ذلك المراد في الواقع المعيش. ولهذا، فقد كرّرنا القول من قبل بأنه لا بد من تجاوز الاسقاطات التاريخية عند تحديد الأدوات التي يجب على المتصدي للنظر الاجتهادي إجادتها والتمكن منها. فلكل عصر تحدّياته ونوازله وأزماته، وبالتالي، فإنه يجب أن تكون لكل عصر الأدوات التي تعين مجتهديها على التصدي للتحديات وعلى مواجهة النوازل وعلى تقديم حلول ناجعة للأزمات.

وبناء على هذا، فإن النظر المتمعن في واقعنا المعاصر، يهدينا إلى القول بان المعرفة الواقعية- العلوم الإنسانية والاجتماعية- غدت في هذا العصر أهمّ المعارف التي لا تحقيق لحسن تنزيل المراد الالهي في الواقع دون الاستعانة بها على الاطلاق، بل إن حسن إدراك المعاني الثانوية في جنبات كثير من نصوص الوحي يتوقف بطريقة مباشرة وغير مباشرة على مدى إدراك المتصدّي للنظر الاجتهادي لمبادئ هذه المعرفة. وعليه، فيمكننا القول بأنّ في مبادئ «..**العلوم الاقتصادية والاجتماعية والنفسية وغيرها مما يتعلق بحياة الإنسان من الحقائق التي اكتشفها العقل، ما يُعين على تحديد وجه المراد الالهي من بين احتمالات عدّة، فيسدّد النظر الاجتهادي، ويفضي تبعا لذلك إلى ترشيد التدين بتحكيم الأفهام السديدة في شؤون الحياة..**»[1]

(1) انظر في فقه التدين فهما وتنزيلا مرجع سابق 1/ 102 باختصار

ففذلكة القول، أن ربط التعجب من اعتبار هذه الاداة بعدم معرفة الصحابة الكرام والسلف الصالح وعدم اعتدادهم بها ربط إسقاطي، كثيرا ما حذّرنا منه في ثنايا هذا البحث، وأكدنا تأكيدا بأنه لا ينبغي الحكم على جيل سابق من العلماء أوالفقهاء في عصر ما بكونهم مجتهدين أو غير مجتهدين في ضوء أدوات الاجتهاد التي يعتبرها الجيل اللاحق بهم، ذلك لأن جملة كبيرة من الأدوات والمعارف وليدة التحديات والظروف الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كما أن تلك الادوات تتاثر بتلك الظروف تاثرا واضحا سواء على مستوى توجهاتها وانطلاقاتها وأهدافها، مما يعني انه ليس في الإمكان الحكم على مدى توافر أدوات النظر الاجتهادي في فرد وفق الأدوات المعتبرة في عصر ليس عصره البتّة.

وعلى العموم، فإن مكانة الأصحاب والسلف وأفضليتهم في فهم النص الشرعي ينبغي أن تفهم بانهم كانوا «..**أعلم بالنص الديني في هديه العام، وبحسب ظروفهم الثقافية**..»[1] ولا يحول ذلك دون تمكن غيرهم من فهم النصّ الشرعي فهما اصيلا دقيقا، وأضف إلى هذان إلى أن جيل الصحابة لم يعرف تفريقا بين علوم الدين، وما يسمى بالعلوم الإنسانية، فقد كان هذا الصنفان مندمجين، ولم ينفصلا بعضهما عن بعض في جيل الصحابة، وذلك لأن «..الفقه الإسلامي عقديا كان أو عمليا اضطرد بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ التابعون واتباعهم فتاوى الصحابة، وطوّروها، ووسّعوها، وبنوا عليها، واستنبطوا منها الأحكام التماسا للمصالح المتجددة، مثلما التمس الصحابة رضوان الله عليهم بطرائق واسعة فيها الاجتهاد الفقهي، وفيها التشريع الحكومي.. فاتصل الاجتهاد بعد عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصله من بعده ائمة الفقه المشهورون، ووالوا تطوير الفقه ليعالج الأقضية الحادثة، ولم ينقطع خط الفكر الفقهي، كلما جدّت حادثة جديدة حاصرها الفقهاء، والتمسوا لها حلاّ، واستنبطوا لها أحكاما..»[2]

يتبع.

(1) انظر في فقه التدين فهما وتنزيلا مرجع سابق 1/ 104

(2) انظر قضايا التجديد للترابي مرجع سابق –172 173 باختصار

النصـرة الإلهية

بقلم المفكر الهندي
الأستاذ وحيد الدّين خان

لقد ورد قانون إلهي في القرآن بهذه الكلمات: ﴿**وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾. (سورة الحج 40). تشير هذه الآية القرآنية إلى قانون إلهي معني بالتاريخ الإنساني. والحقيقة أن الله رب العالمين قد منح الإنسان الحرية الكاملة. وإلى جانب ذلك، - أيضا- فهو يدبر المسيرة الإنسانية، على الدوام ليضمن بقاء مسارها على الطريق الصحيح. وتناقش الآية المذكورة - أنفا- دور الإنسان في خطة الله. وتشدد على وجوب أن يدرك الناس إرادة الله فيما يتعلق بالتاريخ وأن يساهموا في العملية التاريخية وفقًا لخطته. فإذا فعلوا ذلك، فإنهم يستحقون نصرة الله الأكيدة.

ومثال على ذلك ما نراه في الفترة الأولى من الإسلام. وبعد الهجرة من مكة إلى المدينة، خلق الله الظروف التي تمكن المؤمنين من عقد اتفاق سلام من جانب واحد مع الطرف الآخر، وبالتالي إيجاد بيئة سلام لنشر رسالتهم.

لقد فهم المؤمنون في ذلك الوقت هذا الوضع وأقاموا السلام من جانب واحد، مما خلق بيئة سلمية بين الطرفين. وبهذا ساهم المؤمنون في العملية التاريخية التي

(1) ثمة اختلاف بين العلماء في تسمية تلك المعارف والعلوم التي تتمحور حول دراسة الإنسان، ودراسة أحواله النفسية والاجتماعية والسياسية والتاريخية والاقتصادية والقانونية والأدبية والتربوية الخ.. فبعضهم يصفون هذه العلوم بالعلوم الإنسانية باعتبارها علوما تحاول أن تدرس الإنسان من سائر الجوانب المختلفة، وبعض آخرون يصفون هذه العلوم بالعلوم الاجتماعية باعتبار أن الجانب الاجتماعي في الإنسان أهم جانب يؤثر في الإنسان نفسيا وسياسيا واقتصاديا وقانونيا وتربويا الخ.. وعلى العموم، فان مصطلح العلوم الإنسانية أوفى وأشمل، وخاصة أن ثمة فرعا من فروع هذا العلم غدا يعرف بالعلوم الاجتماعية أو علم الاجتماع. فليتأمل!

بدأها الله. وبذلك استحقوا تأييد الله الأكيد، لتحقيق نصر مبين.

وفي العصر الحالي، ظهرت حالة مماثلة على نطاق أوسع. ونتيجة لما يقرب من أربعة قرون من التحولات، تطورت الظروف المواتية للإسلام على نطاق واسع. فمن ناحية، أصبحت الحرية الدينية الآن مقبولة عالميًا كحق مطلق من حقوق الإنسان، ومن ناحية أخرى، نشأت فرص لا حصر لها لنشر الرسالة الإسلامية، وهو ما يمكن وصفه بأنه انفجار الفرص.

إن المؤمنين اليوم في حاجة لنصرة الله من جديد. وتعني تلك النصرة أنه يتوجب على المجتمع الإسلامي إنهاء جميع النزاعات مع الدول الأخرى من جانب واحد، وتركيز كل اهتمامه على نقطة واحدة: استغلال الفرص المتاحة بشكل سلمي لنشر رسالة الله.

وبذلك، سيساهم المؤمنون في العملية التاريخية التي بدأها الله، مما يجعلهم يستحقون نصره الأكيد، وسيحققون مرة أخرى النجاح المشار إليه في القرآن بالفوز المبين: (**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**)، (سورة الفتح ، آية 1).

ولتحقيق هذا النصر الإلهي، هناك شرط واحد فقط: ألا ينظر المسلمون إلى الأمر برمته من منظور قومي (طائفي)، بل من منظور دعوي بحت.

إنه من السنن الكونية أنه في إطار العلاقات الوطنية، غالبًا ما تنشأ مواقف تبدو ظاهريًا أنها ضد أمة معينة. ومن ثم تنظر الأمة إلى هذه المواقف على أنها ظلم بحقها، مما يؤدي إلى ظهور عقلية سلبية داخل الأمة.

إن العقلية السلبية تجعل الأمة غير قادرة على التعرف على الجوانب الإيجابية للمواقف والظروف المحيطة بها، لكي تخطط وتدير شؤونها بصورة إيجابية. تلك العقلية السلبية تصبح عائقا أمام تنمية الأمة.

وهذا بالضبط ما حدث مع المسلمين في العصر الحالي. لقد تصوروا خطأً أن الاوضاع الطبيعية ضدهم، مما أدى إلى الشعور بأنهم ضحية.

لقد جر الشعور بالضحية كلفة كبيرة على المسلمين. وجعلهم غير قادرين على فهم الجوانب الإيجابية للتاريخ والمساهمة فيه بما يجعلهم يستحقون نصرة الله.

في رياض السنة

الحديث الثلاثون من الاربعين النووية : حقوق اللّه

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

«عن أبي ثعلبة الخشني جرثوم بن ناشر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيّعوها وحدّ حدودا فلا تعتدوها وحرّم أشياء فلا تنتهكوها وسكت على أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها»

حديث حسن رواه الدارقطني وغيره

راوي هذا الحديث هو أبو ثعلبة الخشني وهو من الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة، أرسله رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى قومه فأسلموا، نزل الشام وتوفي سنة خمس وتسعين للهجرة، قبض وهو ساجد وكان يقول «**إني لأرجو أن لا يخنقني الله كما أراكم تخنقون عند الموت**».

❋قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيّعوها**».

❋والفرض هو ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه والفرض والواجب مترادفان وهناك من الفرائض ما هي فرض عين : الصلوات الخمس والصوم والزكاة والحج على من تجب عليهم «بلوغ المال النصاب وحلول الحول بالنسبة للزكاة والاستطاعة بالنسبة للحج «الزاد والراحلة والصحة والعافية» ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾.

❋ومن الفرائض ما هي فرض كفاية إذا قام بها البعض سقط على البقية القيام بها كصلاة الجنازة والأذان وردّ السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

والفرائض هي أركان الإسلام التي لا يقوم إلاّ عليها ولا يصح إلا بها.

وأداء الفرائض هو حق الله على عباده يقول جل من قائل «**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون**» فالعبادة بعد الإيمان بالله وحده لا شريك له ولا ند هما أساس الدين يقول سبحانه وتعالى «**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**» والإيمان بالله أي لا اله إلا الله هي أساس وركيزة كل الرسالات السماوية وهي المهمة التي كلف الأنبياء والمرسلون عليهم السلام بالقيام بها يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «**أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا اله إلا الله**».

*والفرائض التي فرضها الله على عباده هي الحد الأدنى الذي لا بد من القيام به وهي دَيْنٌ على من لم يقم به يجب عليه قضاؤه وهي كفيلة إن صدق في أدائها القائم بها فيها بأن تحقق له الصلاح والفلاح وهذا هو ما علق به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الذي قرر أن لا يزيد عليهن «الفرائض» قال عليه الصلاة والسلام : «**أفلح صاحبكم إن صدق**».

*ولا يمكن لأي كان أن يدعي أنه تجاوز مرحلة القيام بالفرائض وان هذه الفرائض هي للعامة أما الخاصة فيمكن أن يسقط عليهم أداء الفرائض وذلك لعمري تلبيس إبليس الذي يشتد اشتغاله بمن يقطعون أشواطا في الطاعة والعبادة حتى إذا كانوا قاب قوسين أو أدنى من جني ثمرة جهدهم وجهادهم في طريق الطاعة يغويهم إبليس فيهلكهم فيقولون مثل هذا القول!! وهو سقوط الفرائض عليهم وكثيرهم أولئك الذين يدّعون أنهم بلغوا هذه المرتبة وليست في الواقع مرتبة بل مهلكة وغواية وضلالة بعد هداية والعياذ بالله ومن أين لهؤلاء أن يدعوا بلوغ مرتبة القرب من رب العالمين وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو امام الواصلين وأقرب المقربين من رب العالمين ولم نسمع انه عليه الصلاة والسلام ترك فريضة من الفرائض إلى أن التحقت روحه ببارئها

*والعبادات أو الفرائض الشأن فيها الإتباع لا الابتداع وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله وإقراره كيفية أداء هذه الفرائض وقال «**صلوا كما رأيتموني أصلي**» وقال «**خذوا عني مناسككم فلعلكم لا تلقوني بعد عامكم هذا**».

*والإتباع والاقتداء بالإضافة إلى الإخلاص هما الشرطان الضروريان لتحقيق الانتفاع بثمرة أداء هذه الفرائض، فالله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا أصوبها

وأخلصها معناه موافقه السنة أي الإتباع قولا وفعلا وحركة لما كان يأتيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي يقول الله سبحانه وتعالى في حقه «**لتبين للناس ما نزل إليهم**» والذي قال الله على لسانه ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾.

*إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر أمته من مغبة تضييع الفرائض التي فرضها الله على عباده فمن ضيع ما فرض الله عليه يوشك أن يضيعه الله ومن ضيع ما فرض الله هو لسواها أضيع.

ومن رحمة الله بعباده أن جعل هذه الفرائض يسيرة سهلة يمكن التوفيق بين أدائها وإتيان كل ما يريده الإنسان ويبتغيه من المصالح بل جعل الله تبارك وتعالى في هذه الفرائض ما يحقق للإنسان مرضاة ربه ومصلحته العاجلة الدنيوية والبدنية والنفسية والاجتماعية وغيرها.

وقد أمر الله تبارك وتعالى عباده بان ينتشروا في الأرض ويبتغوا من فضل الله بعد أداء ما فرض الله عليهم «**فإذا قُضيتْ الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله**».

*إن دين الإسلام الحنيف لم يجعل الله تبارك وتعالى فيه حرجا على العباد «**ما جعل عليكم في الدين من حرج**» «**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**» ولأجل ذلك وتأكيدا على ذلك فإن العبرة بالامتثال والعبرة بالنوايا «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى**» حديث «**ويبلغ المرء بنيته ما لا يبلغه بعمله**» حديث «**ونية المرء خير من عمله**» حديث،

جعل الله تبارك وتعالى هذه الفرائض يعتريها التخفيف والتيسير «**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**» آية، «**فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر**» آية، ولهذا نجد أن الطهارة الكبرى والصغرى تعوض بالتيمم عند خوف الضرر أو فقدان الماء وان الصلاة في حالة السفر تقصر فتصبح ركعتين عوضا عن أربع ركعات في الصلوات الرباعية «**الظهر والعصر والعشاء**» وما أكثرها التيسيرات التي تصل إلى درجة مجرد الإشارة في الصلاة بالنسبة للمريض غير القادر عن الحركة وكل ذلك لخصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله «**إن الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحبُّ أن تؤتى عزائمه**».

هذه هي فرائض الإسلام: الصلاة والصيام والزكاة والحج بالنسبة للمكلف بها فالزكاة والحج لا تجبان إلا بالقدرة المادية الفعلية: توفر النصاب وحلول الحول

بالنسبة للزكاة والاستطاعة المالية «**الزاد والراحلة**» والاستطاعة البدنية «**السلامة والعافية**» **بالنسبة للحج** ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾.

*ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «**وحَدَّ حدودا فلا تعتدوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها**».

فبعد أداء ما فرض الله على عباده ينبغي عليهم أن يقفوا عند حدود لا يتجاوزونها ومن تجاوزها منهم فلا يلومن إلا نفسه، وبين الحدود التي حدها الله ونهى عن تجاوزها بين الله تبارك وتعالى بين لعباده في كتابه العزيز وفي ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نهى عنه ما لا ينبغي تجاوزه كتحديد المواريث وأحكام الزواج والطلاق وما يترتب عنهما والنهي عن إتيان الفواحش والمحرمات كشرب الخمر وقتل النفس التي حرم الله وأكل أموال الربا وأموال اليتامى وأموال الناس والزنا وقذف المحصنات والكذب والافتراء والنيل من أعراض الناس فكل ذلك حرام في دين الإسلام بل هو حرام في كل الشرائع والأديان السماوية، والواقع فيها معتد أثيم مستحق إن هو لم يتب ولم يقلع عما اقترف لغضب الله وشديد عقابه في الدنيا والآخرة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «**ألا وان حمى الله محارمه ألا وان لكل ملك حمى**»

وقد جعل الله تبارك وتعالى للمؤمنين في الحلال الطيب العوض والكفاية فالواقع في ما حرم الله معتد «**فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون**» آية.

*ثم يقول عليه الصلاة والسلام «**وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها**».

حاشا لله سبحانه وتعالى ان تأخذه سنة ولا نوم ولا غفلة ولا نسيان فهو سبحانه وتعالى لا يغيب عن علمه شيء «**مقدار ذرة**» في الأرض ولا في السماء يعلم ما كان وما يكون، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور يعلم ما فيه صلاح عباده وما يضرهم ولأجل ذلك فإذا ما سكت فلا ينبغي التنطع والتهور والتشديد على النفس والسؤال الذي لا موجب له يقول جل من قائل «**لا تسالوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**» وما اشد غضب الله ونقمته على من سأل عن شيء فحرم من جراء مسألته يقول عليه الصلاة والسلام «**إن الله يكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال**» ولذلك أجاب عليه الصلاة والسلام من سأل عن الحج «**أفي كل عام يا رسول الله؟ قال لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم**» اتركوني ما تركتكم.

يقول جل من قائل «**وما كان ربك نسيا**» ويقول عليه الصلاة والسلام «**إن أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لأجل مسألته**» وقال صلى الله عليه وسلم «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»

إن رحمة الله بعباده اقتضت أن يسكت جل وعلا عن أشياء وأمور تيسيرا ورفعا للحرج عنهم فالأولى بهم والأجدر ان يروا في ذلك تخفيفا عليهم ورفقا بهم وما أحوجنا إلى الرفق والرحمة والتيسير وذلك كان حال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي تقول عنه كتب السيرة انه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما. فالسكوت من الله تخفيف عل العباد الذين يغلب على أحوالهم الضعف والحاجة إلى الراحة وذلك ما راعاه لهم ربهم في دين الإسلام دين الرحمة بالعالمين﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ ودين الرحمة بالمؤمنين ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ إن القرآن الكريم مليء بأخبار من سبقونا من الأمم أولئك الذين شددوا فشدد الله عليهم.

نسأل الله إن يهدينا إلى سواء السبيل والطريق المستقيم انه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

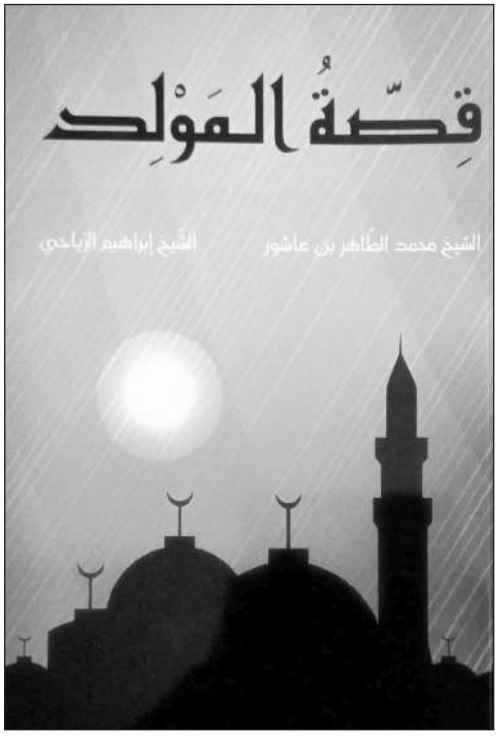

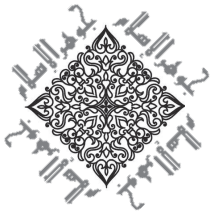

الفتوى والبناء الأخلاقي في عالم متغير

بقلم الدكتور محمد البشاري

أمين عام المجلس العالمي للمجتمعات المسلمة

انعقد المؤتمر العالمي التاسع لهيئات الإفتاء في العالم في القاهرة يومي 29 و30 يوليو، تحت شعار «**الفتوى والبناء الأخلاقي في عالم متسارع**»، حيث تمحورت النقاشات حول دور الفتوى في صياغة الأخلاق وتوجيه المجتمعات وسط التغيرات السريعة والتحديات المتجددة.

والفتوى في الإسلام ليست مجرد حكم شرعي، بل هي انعكاس للقيم الدينية والأخلاقية، مما يجعلها أداةً فعالة لبناء مجتمع أخلاقي قادر على التكيف مع المتغيرات دون التفريط في ثوابته.

كما تتمتع الفتوى في الإسلام بدور محوري يتجاوز الإرشاد الديني، لتصبح وسيلةً لتأصيل القيم الأخلاقية في نفوس المسلمين. إنها تجسد العلاقة الوثيقة بين الشريعة والأخلاق، حيث تتطلب الفتاوى من العلماء والمفتين ليس فقط معرفة النصوص الشرعية، بل أيضاً القدرة على فهم الواقع المعاصر وتحدياته

وبهذا الفهم العميق، تصبح الفتوى جسراً يربط بين القيم الثابتة والتغيرات المستمرة، مما يساعد على تحقيق توازن بين الأصالة والمعاصرة.إن البناء الأخلاقي في المجتمعات الإسلامية يعتمد بشكل كبير على هذا التفاعل بين الفقه والأخلاق

فالفقه كعلم ينظّم حياة المسلمين وفقاً للشريعة، ويعتمد في استنباط أحكامه على أصول الفقه التي تضع القواعد والمبادئ المستمدة من القرآن والسنة والإجماع

والقياس. أما الأخلاق، فهي روح الشريعة ومقصدها الأسمى، وهي تهدف إلى تهذيب النفس وتوجيهها نحو الخير والفضيلة.

لذا، فالتكامل بين الفقه والأخلاق يضمن جعْلَ الأحكام الشرعية توجيهاتٍ حيةً تستند إلى القيم والمبادئ الأخلاقية. والأخلاق في الإسلام ليست مجرد توصيات سلوكية، بل جزء لا يتجزأ من العقيدة والشريعة، إذ تهدف إلى تهذيب النفس البشرية وتوجيهها نحو الفضيلة والخير، وهي مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. والأخلاق تعبّر عن القيم والمبادئ التي يجب أن يتحلى بها المسلم في تعامله مع الله ومع نفسه ومع الآخرين. والفقه هو العلم الذي يُعنى بفهم وتطبيق الأحكام الشرعية المستمدة من القرآن والسنة والإجماع والقياس، ويهدف إلى تنظيم حياة المسلمين وفقاً للشريعة الإسلامية. أما أصول الفقه فهي القواعد والمبادئ التي يعتمد عليها الفقهاء في استنباط الأحكام الشرعية، والتي توضح كيفيةَ استخدام الأدلة الشرعية وتطبيقها على الوقائع المختلفة

وهكذا فالأخلاق والفقه يرتبطان ارتباطاً وثيقاً في الإسلام، حيث توفر الأخلاق الإطار القيمي الذي يوجه الفقه ويضبطه، ويجب أن تكون الأحكام الفقهية متوافِقةً للمبادئ الأخلاقية. والفقه بدون الأخلاق يمكن أن يصبح مجموعة من القواعد الجافة التي تفتقر إلى الروح والقيم. وعلى سبيل المثال، يعالج الفقهُ قضايا مثل الصدق والأمانة والعدل، وهي قضايا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأخلاق. والتكامل المعرفي بين الأخلاق والفقه يضمن أن تكون الأحكام الشرعية عادلةً وشاملة، تحقق التوازن بين الحقوق والواجبات

في عالمنا المعاصر، تتزايد التحديات الأخلاقية مع تسارع التطورات التكنولوجية والتغيرات الاجتماعية، مما يجعل دور الفتوى في البناء الأخلاقي أكثر أهميةً من أي وقت مضى. والفتوى ليست مجرد إجابة عن سؤال ديني، بل عملية بناء وتوجيه تتطلب من العلماء فهماً عميقاً للتغيرات الجارية وقدرةً على توجيه المجتمع نحو التكيف معها دون فقدان هويته الأخلاقية. وهذا يتطلب تطويرَ الفقه وأصوله بحيث يتمكن من مواجهة التحديات المعاصرة بمرونة وفعالية، مع الحفاظ على الثوابت الدينية والأخلاقية.

وبهذا الفهم المتكامل، يمكن للفتوى أن تلعب دوراً أساسياً في تعزيز البناء الأخلاقي في المجتمعات الإسلامية من خلال التركيز على القيم الأخلاقية المستمدة من القرآن والسنة. ويمكن للفتوى أن تكون أداةً فعالةً ليس فقط في توجيه الأفراد، بل في بناء مجتمع قائم على العدل والرحمة والفضيلة

إن هذا الدور المحوري للفتوى يعكس حكمة الشريعة الإسلامية وعمقها، مما يجعلها قادرةً على التكيف مع التغيرات المستمرة وتوجيه المجتمع نحو الخير والصلاح في كل زمان ومكان. والفقيه المسلم في هذا السياق ليس مجرد ناقل لأحكام الشرع، بل موجِّه أخلاقي يحمل على عاتقه مسؤوليةَ تربية المجتمع على القيم النبيلة والمبادئ السامية

وهو الذي يَعبر بالأمة من مجرد الامتثال الشكلي للأحكام إلى الالتزام الروحي العميق بالأخلاق الإسلامية، مما يؤدي إلى بناء إنسان صالح، وأسرة متماسكة، ومجتمع متكافل يسوده التآخي والتراحم.

هذا التكامل بين الفقه والأخلاق لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال اجتهاد مستنير يراعي مقاصد الشريعة ويتفهم الواقع بتعقيداته

اجتهاد يتطلب من الفقيه أن يكون على دراية ليس فقط بالنصوص الشرعية، بل أيضاً بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، حتى يتمكن من تقديم فتاوى تتسم بالعمق والشمولية، وتلبِّي حاجات الناس وتحقق مقاصد الشريعة في تحقيق العدل والرحمة والمصلحة العامة

إن التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية اليوم تتطلب من الفقهاء والمؤسسات الإفتائية أن يتبنوا منهجيةً شاملة تتكامل فيها الأخلاق مع الفقه، وتستجيب للتغيرات السريعة دون المساس بالثوابت. والفتوى في هذا الإطار ليست مجردَ حكم شرعي، بل عملية بناء أخلاقي ومجتمعي تعزز القيم الإسلامية وتحقق السلم الاجتماعي والتوازن في حياة المسلمين. وبهذا الفهم العميق لدور الفتوى والأخلاق في البناء المجتمعي، يمكننا أن نواجه التحديات المعاصرة بثقة ووعي، ونحقق مجتمعاً مسلماً متماسكاً يسوده العدل والرحمة والتعاون، ويكون نموذجاً يُحتذى به في العالم.

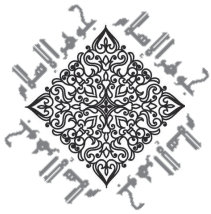

في ذكرى مرور 51 سنة على وفاة سماحة الشيخ الامام
محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله(1973/ 2024)

تكريم المرأة وإعطاؤها حقوقها كاملة ضرورة من ضرورات التقدم والتمدن

قراءة في نص لسماحة الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله

بقلم الأستاذ محمد صلاح الدين المستاوي

نصوص سماحة الشيخ الإمام **محمد الطاهر ابن عاشور** رحمه الله مفيدة وثرية وهي جديرة بالقراءة وإعادة القراءة إذ في كل مرة نفعل ذلك نجد لدى سماحته ما يناسب المرحلة التي نحن فيها والحاجة الماسة التي نحسّ بها والمتمثّلة في التأصيل والتعميق لكثير من الاختيارات والبرامج التي نروم المضيّ فيها وتعميق الوعي بها والانخراط فيها من قبل أكثر ما يمكن من أفراد المجتمع وذلك تأمينا للمسار وتسديدا للخطى وإقامة للحجة والبرهان على أن الإصلاح منطلق منّا لا يمكن أن يملى علينا.

وقبل إيراد نص من هذه النصوص الرائعة التي تركها لنا سماحة الشيخ **محمد الطاهر ابن عاشور** رحمه الله لا بأس من التذكير بنبذة من حياة هذا الشيخ الجليل الذي هو احد أعلام الزيتونة في العصر الحديث والذي تجاوز إشعاعه وحضوره العلمي سواء كان ذلك في حياته التي مدّ الله له فيها أو كان ذلك بعد وفاته حدود تونس وامتدّ ليشمل كل بلدان الشمال الإفريقي (ليبيا والجزائر والمغرب ومصر...) فقد أعدّت حوله رحمه الله عديد الأطروحات الجامعية وعقدت الندوات والملتقيات خصوصا حول كتابه الجليل (**مقاصد الشريعة الإسلامية**) بل وصل إشعاع سماحة الشيخ الإمام **محمد**

الطاهر بن عاشور رحمه الله إلى الشرق الأدنى والأوسط والأقصى وهذا الانتشار لفكر الشيخ الإمام جدير بالمتابعة والتوثيق إذ كثيرا ما وقع لفت انتباه التونسيين إلى سبق إمامهم وعبقريته وبعد نظره من طرف إخوة لهم عكفوا على عمل من أعمال الشيخ الإمام فوجدوا فيه ما لم يسبق إليه وليس هذا بالغريب على الربوع التونسية التي امتدّ عطاؤها العلمي على مر القرون ومنذ القرن الأول للهجرة وهو عطاء تميز دائما بالعمق والثراء وبالواقعية والمرونة وبالمواكبة لكل الأعراف والمستجدات.

أما النص الذي نورده تعميما للفائدة وتعريفا بآثار سماحة الشيخ الإمام فقد جاء في ثنايا كتاب «..**أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**» ويتعلق بنظرة الإسلام للمرأة وما أعطاه لها من حقوق.

واختياري لهذا النص إنما اقصد من ورائه أن ما تناله اليوم المرأة من حقوق وما ينادي به لها في كل إرجاء العالمين العربي والإسلامي من إصلاحات جوهرية في النظرة إليها والتعامل معها بما يليق بها ويحقق لها كرامتها الفعلية التي سلبت منها في كثير من مراحل تاريخ المسلمين، إن ذلك العمل الإصلاحي الذي اشتدت الحاجة إليه حتى أصبح الشغل الشاغل لكل المجالس والنوادي والملتقيات في كل البلدان داخل العالم العربي والإسلامي وخارجه، يجد هذا العمل مرجعيته ومشروعيته في آثار العلماء الأعلام من أمثال سماحة الشيخ **محمد الطاهر ابن عاشور** رحمه الله.

ونظرا لأهمية هذا النص الوارد في كتاب (**أصول النظام الاجتماعي في الإسلام**) فاني استعرضه تعميما للفائدة (انظر الصفحة 95 وما بعدها)

يقول سماحة الشيخ الإمام رحمه الله:

(البشر متّحدون في صفة الإنسانية المتقوّمة من صفات وضعت عليها الخلقة النفسانية والجثمانية وضعا واحدا في جميع أفراد النوع، فهم في ذلك سواسية في جل أحوالهم من تفكير وعمل وثمة فروق قليلة ميّزت بين أفراد النوع فمنها فروق جلية لها آثارها في اختلاف تفكيرهم وأعمالهم اختلافا ضعيفا ميزتهم أصنافا من ذكور وإناث وبيض وسود وفروق عادية اصطلحوا على اكتساب آثار في سيرتهم من جرائها تقوى وتضعف مثل الأنساب والمواطن واللغات فان لها آثارها في اختلاف أساليب الحياة اختلافا اصطلاحيا وما عدا ما ذكرناه من الفروق لا أثر له في عمود سيرة البشر سواء كان في الذات كالسواد والبياض أم كان في النفس كالشجاعة والجبن والفطنة والبلادة والسؤدد والسوقية).

مقدمة منطقية مقنعة لا مجال فيها للهوى والتشهي ولا مجال فيها للإقصاء والتهميش والتهوين ولا يملك العاقل إلا أن يسلّم بها.

ثم يقول سماحة الشيخ الإمام (والإسلام جاء بصلاح النوع كله وجاء بشريعة سواء بين الناس ﴿ **فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**﴾ (فصلت/ 13) فكانت دعائم الإصلاح فيه كلّها منظورة بنظر التعميم والاطراد في سائر الأصناف والأفراد لان اثر تلك الدعائم الإصلاحية يتعلق بالمقوّمات النوعية غير مختلفة الكون في أفراد وأصناف النوع فلا جرم أنها مقومة لإصلاح سائر الأصناف والأفراد ولذلك جاء الإسلام بتوجيه الخطاب بدعائم الإصلاح لسائر الناس: الرجال والنساء والبيض والسود والسادة والسوقة وفي الحديث «**بعثت إلى الأحمر والأسود**» وعلامة ذلك ان دعوته وخطابه لم تفصل بين أفراد النوع في الكثير الغالب. وأنها صرحت بالتعميم في خطابات كثيرة فعلمنا ان مالا تصريح فيه بالتعميم مراد عمومه بمقتضى الدليلين قال الله تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾(سورة الأنبياء/ 107) وقال ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ**﴾ (سورة سبأ/ 28) وكذلك قال:﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾ (سورة النحل/ 97) الآية.

استواء البشر من أصل الفطرة :

وهذا العموم تابع لمعنى الفطرة المؤسس عليه الإسلام فان استواء البشر في أصل الفطرة يقتضي ان يستووا في الدعوة والتشريع الفطري ولكن إذا دخل على الفطرة شيء من الاختلاف ظهر لذلك الاختلاف اثر في التشريع وذلك يتوقف على اعتبار الشريعة لمقدار الاختلاف فتفرض بحسبه أحكاما خاصة فان كانت دائمة لدوام فروقها فهي الأحكام الخصوصية الدائمة مثل بعض أحكام النساء وان كانت عارضة لأحوال طويلة فهي المستثنيات كأحكام العبيد وان كانت عارضة في أوقات غير طويلة المدة فهي الأعذار كأحكام المرضى.

ولكون أصل التشريع هو العموم كانت الأحكام العامة الثابتة في الشريعة واضحة بينة لا يتطرقها خلاف العلماء في تحديد عمومها ودوامها وكانت الخصوصيات والمستثنيات والأعذار مجال الاجتهاد بين علماء الأمة في أصل إخراجها من العموم أو في مقداره أو في توقيته ودوامه).

وهكذا يواصل سماحة الشيخ **محمد الطاهر ابن عاشور** رحمه الله التأصيل والتنظير المنطقي العقلاني الذي يلتقي مع الفطرة التي تمثل فكرة مركزية استند عليها سماحة الشيخ الإمام في كل ما انتهى إليه من آراء تطابق التفكير القويم مع النصوص الصحيحة

الصريحة التي اهتدى فيها إلى ما لم يسبق إليه واستنبط منها كل ما يصلح أساسا ومنطلقا سليما لكل إصلاح حقيقي يحتاج إليه المسلمون في كل ديارهم وعهودهم.

عموم الدعوة يقتضى عموم فروعها :

ثم يقول (وهذا المقام من مظاهر امتياز الإسلام على غيره من الشرائع فانه كما امتاز بعموم الدعوة حقيقة كذلك امتاز بعموم فروعها غالبا فقد كان في الشرائع السالفة كثير من الأحكام الخصوصية المنظور فيها لاختلاف الأصناف واختلال الأحوال الاصطلاحية واختلاف الأنساب والمواطن ونمثل هذا بشريعة التوراة ففيها أحكام كثيرة خاصة باللاويين وأحكام تخص بني إسرائيل دون الدخلاء بينهم وأحكام تخص الرجال دون النساء كل ذلك مناسب لآثار الاختلاف المنوط به اختلاف التشريع فقد حرمت المرأة في شريعة موسى من فريضة الصلاة).

ويمضي سماحة الشيخ الإمام قائلا (اظهر الفروق بين أفراد البشر من حيث الخلقة الاختلاف بالذكورة والأنوثة وأظهرها من حيث العوائد المتأصلة عند البشر الاختلاف بالحرية والرق فهذان فارقان ظهرت لاختلافهما آثار الشرائع. فأما الفرق بالذكورة والأنوثة فقد كان العرب في الجاهلية جعلوا المرأة منعزلة عن التكاليف منحطة في القربات وقد حكى الله عنهم في سورة الأنعام ﴿**وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ**﴾ (سورة الأنعام/ 139) يعنى إن ما تلده البحيرة والسائبة إن ولد حيا فهو خالص للذكور يأكلونه ولا تأكله النساء وما ولد ميتا يأكله الرجال والنساء. وقد سفههم الله تعالى في ذلك فقال ﴿**سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيم**﴾(سورة الأنعام/ 139) وسوّغوا الموؤدة وهي الأنثى فلأبيها أن يدفنها حية خشية السبي أو الفقر ولا يمكّن أمها ولا إخوتها من صد أبيها عن ذلك قال تعالى ﴿**قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْم**﴾ (سورة الأنعام/ 140) فأما الإسلام فلم يحسب في دعوته فرقا شديدا بين الرجل والمرأة بل أمر النساء بمثل ما أمر به الرجال وكيف تعزل المرأة عن الإصلاح جانبا وهي احد صنفي البشر وهي متولية تربية الأبناء بهم بقاء النوع، فهي إذن غرس جذور الأخلاق فاضلها وسافلها فبقاء المرأة منحطة الفكر غارقة في الجهل ابقاء لها في حالة منحطة وذلك يسلب منها الأهلية لتربية أولادها تربية كاملة ولسياسة بيتها على الوجه الأكمل ويسلب الأمة الانتفاع بصنف كامل من البشر فلذلك كان استثناؤها من التكاليف الشرعية إزالة لاستعدادها الفطري سواء قصد من استثنائها الرفق بها أم قصد به إهانتها فالأثر الحاصل من ذلك واحد).

الاستناد إلى الواقع والاعتماد على المنطق :

إن سماحة الشيخ **محمد الطاهر ابن عاشور** رحمه الله في دعوته إلى تكريم المرأة ومساواتها بأخيها الرجل يستند إلى منطق الأشياء وطبائع الأمور وهو لا يتأخر عن توجيه نقده إلى ما اعترى بعض الرسالات السابقة من تحريف وانحراف هو مجانبة للفطرة وهو لا شك من فعل الأعراف والبيئات وهو أيضا من فعل الإنسان الذي لم يكن في الكثير من الأحيان موافقا للصواب ولما يريده الله تبارك وتعالى لكل عباده ويورد سماحته عينات من النظرات القاصرة والأحكام الجائرة والتصرفات المشينة التي أتى بها بعض الأقوام ومنهم العرب في جاهليتهم مستدلا بما ورد في كتاب الله العزيز من أخبارهم وأفعالهم والتي منها دفن البنت حية ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**﴾؟ (سورة التكوير/ 8)

وذلك ما أورده القرآن الكريم واخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه التصرفات والانحرافات إنما يراد به التشنيع والتشهير والتحذير للمسلمين ولعقلاء الناس ان يعودوا إليه فكل ذلك جاهلية جهلاء وظلام دامس ولا يتأخر سماحة الشيخ الإمام رحمه الله عن الإصداع بما امتاز به الإسلام على غيره من الشرائع فقد امتاز بعموم الدعوة وامتاز بعموم فروعها غالبا.

إن الشيخ ابن عاشور رحمه الله ينتهي بالقارئ المتابع لتسلسل أفكاره إلى ان تكريم المرأة وإعطاءها حقوقها كاملة غير منقوصة هو ضرورة من ضرورات التقدم والتمدن والتحضر وان الحكم عليها بسلب حقوقها وامتهانها وتهميشها هو حكم تتجاوز سلبياته ومآسيه ذات المرأة إلى غرسها وهم أبناؤها والى المجتمع ككل.

إن الشيخ ابن عاشور رحمه الله يرى إن استثناء المرأة من حقوقها مهما كان القصد منه هو إهانة لها فالأثر الحاصل واحد في كل الحالات.

إن روح الإصلاح والتجديد والرغبة الشديدة والملحّة في النهوض بالمرأة والدعوة الصريحة لذلك تبدو جلية واضحة منطقية عقلانية وواقعية تستقرئ المحيط والتاريخ لتدين كل تصرف مشين مهين مهمّش للمرأة ويمضي بعد ذلك سماحة الشيخ الإمام ليبني على هذا التقعيد والتنظير الإصلاحي ملامح رؤية الإسلام للمرأة وحقوقها في كل المجالات والميادين.

ويصحّح سماحة الشيخ ابن عاشور رحمه الله الأفكار الخاطئة التي منها ما يتصور من أن المرأة العربية قبل الإسلام كانت أوضاعها أسوا مما هي عليه لدى الأمم الأخرى حيث قيل (...**بل كانت محل الكرامة والحرمة إلا أن ذلك كان في بيتها فقط أما خارج**

البيت فقد كانت مهضومة في كثير من حقوقها... وملغاة في تثقيفها وترقية تفكيرها) وهذا هو الذي يدعو سماحة الشيخ **محمد الطاهر ابن عاشور** رحمه الله إلى تغييره وإصلاحه وجعله يرتفع إلى المستوى المطلوب والمنشود وهو ما لم ينفكّ ينادي به المصلحون ويدفعون المجتمعات إلى الاقتناع به والانخراط فيه لأنه هو المحقّق للتوازن وهو المعبّر عن الانسجام مع الفطرة التي خلق الله عباده عليها... وهو أيضا ما تدعو إليه آيات الكتاب العزيز وسنة وسيرة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

يقول الشيخ ابن عاشور رحمه الله «**لهذا جاء الإسلام بإلحاق المرأة بالرجل في التكاليف من اعتقاد وعمل وآداب ومعاملات**» وهذه هي المساواة الحقيقية والفعلية فالمرأة في الإسلام متساوية في التكاليف التي هي عنوان الأهلية التامة ويورد الشيخ ابن عاشور مدلّلا على ما يذهب إليه وينوّه به آيات عديدة نطالب المرأة بما يطالب به الرجل من طاعات وقربات وعمل صالح، إن العمل الصالح من المرأة هو كالعمل الصالح من الرجل وكذلك الأمر فيما يتعلق بما يقابل ذلك فالحسنة حسنة من المرأة كما هي كذلك من الرجل والسيئة سيئة من المرأة كما هي كذلك من الرجل، مساواة كاملة ووزن بالقسط فالعبرة بالعمل لا ينظر إلى من قام به.

ولهنّ مثل الذي عليهن عنوان حقوق المرأة

ومن الآيات التي يعتبرها الشيخ ابن عاشور رحمه الله عنوانا لحقوق المرأة قوله جل من قائل ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ (سورة البقرة/ 228) وهو لا يكتفي بهذه الآية في استدلاله وإقناعه بما يذهب إليه بل يورد عديد الآيات سواء كان ذلك في المجال الاجتماعي وميدان الأحوال الشخصية التي لم تكن لها قبل الإسلام ضوابط وجاء الإسلام ليضع القيود الملزمة والمانعة لكل حيف وامتهان ونظرة غرائزية للمرأة كوسيلة للاستمتاع وهي النظرة التي لا تلتقي مع الكرامة الإنسانية ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ (سورة الإسراء/ 70) وبنو آدم هم الرجال والنساء.

ومساواة الإسلام للمرأة بأخيها الرجل لا تقتصر على ميدان ومجال واحد بل هي في الترغيب في العمل الصالح وفي الترهيب من العمل الذي يغضب الله وهي مساواة في الآداب والأخلاق وفي ترسيم الحالة الاجتماعية إنها مساواة تامة وكاملة وشاملة لا تترك مجالا إلا وتتطرق إليه وتدعو فيه إلى إقامة التوازن المطلوب ومعاملة المرأة معاملة لائقة مناسبة لمنزلتها الرفيعة ومكانتها في الواقع المعيش والمشاهد والذي لا داعي إلى أن يكون مخالفا لما يذهب إليه التفكير القويم السليم الذي يلتقي مع الفطرة السليمة التي خلق الله عليها عباده ودعاهم إلى مراعاتها واعتبارها وعدم معارضتها.

والنصوص التي يوردها سماحة الشيخ **محمد الطاهر ابن عاشور** رحمه الله نصوص محكمة واضحة جلية إنها آيات بيّنات واضحات صريحات من كتاب الله العزيز وهل بعد كتاب الله العزيز كلام سوى التسليم لأحكم الحاكمين سبحانه وتعالى وهي نصوص ظلت ويا للأسف في كثير من الأحيان تعارضها الأعراف والعادات التي ما أنزل الله بها من سلطان وإنما كرستها في الأذهان وجعلتها واقعا وممارسة فعلية آراء غير مستنيرة ولا محققة ويلفت الشيخ ابن عاشور رحمه الله النظر إلى أن بعض النصوص القرآنية التي خصت المرأة دون الرجل مثل آية المبايعة حيث قال جل من قائل ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (سورة الممتحنة/ 12)

وبمثل ما يقنع سماحة الشيخ ابن عاشور رحمه الله قارئه بالنصوص المحكمة من كتاب الله العزيز والتي يستنبط منها ما لم يسبق إليه من الأفهام الدقيقة فانه يأتي بالحجج العقلية من مختلف العلوم (أصول الفقه وعلوم اللغة العربية واستعمالاتها الدقيقة التي لا يمكن فهم نصوص الكتاب العزيز إلا بواسطتها).

يقول «ومن اجل هذه العمومات (عدم استثناء المرأة) قرر الأئمة المجتهدون أن صيغ العموم التي في القرآن تشمل النساء مثل من الشرطية وكل وغيرهما ولو كانت صيغها جارية على التذكير وان جموع المذكر وان كانت في أصل الوضع غير شاملة للنساء ولكنها في الشرع شاملة لهنّ للأدلة الدالة على عموم الشريعة كما تقرر في أصول الفقه).

ويورد سماحة الشيخ ابن عاشور رحمه الله شواهد ناطقة على التطور الذي آلت إليه المرأة بعد مجيء الإسلام حيث بلغ بها الأمر إلى المطالبة بما يطالب به الرجل ويأتي الجواب من رسول الله صلى الله عليه وسلم مسايرا ومتماشيا مع هذا الوعي المبكّر بحق المرأة في المساواة مع أخيها الرجل في كل المجالات بما فيها الجهاد حيث (ذكر لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جهادهن أن يقمن على المرضى ويواسين الجرحى ويسقين الجيش وغير ذلك من شؤون الإعانة عدا القتال) ويضرب الشيخ مثلا على هذه المساواة الفعلية في الخروج للجهاد والقيام من طرف المرأة بما ارشد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وينتهي سماحة الشيخ **محمد الطاهر ابن عاشور** رحمه الله إلى أن الأحكام التي تبث فيها التفرقة بين الرجال والنساء ينبغي الرجوع فيها إلى حكم الفطرة (والفطرة

لها حضور مركزي في ما ينتهي إليه الشيخ ابن عاشور من آراء وأفهام) يقول (ثم إن ملاك الأحكام التي ثبت فيها التفرقة بين الرجال والنساء هو الرجوع إلى حكم الفطرة فإذا كان بين الصنفين فوارق جبلية من شانها ان تفرق في أسباب الخطاب بالأحكام الشرعية بحسب غالب أحوال الصنف ولا التفات إلى النادر).

ويعتبر سماحة الشيخ **محمد الطاهر ابن عاشور** رحمه الله أن هذه الفوارق هي مجال للاجتهاد والاختلاف بين علماء الإسلام كما اختلفوا في إسناد بعض الولايات اختلافا شديدا وفي اختلاف الأئمة رحمة بالأمة لأنه اختلاف ناتج عن اجتهاد ومن اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد ولم يصب فله أجر واحد فلن يعدم المجتهد الأجر والثواب في كل الأحوال.

ويختم سماحة الشيخ الإمام هذا الفصل الرائع المليء بالتحقيق والتدقيق والتحرير والتنوير بما لا يزال سبيلا لتحقيق المساواة الفعلية وهو العلم حيث يقول «وينبع لنا من هذا (أي مما تقدم ذكره) ان العلم الذي تطالب به المرأة تجري برامجه على مثل ما جرت عليه مراعاة التشريع لهن فمعظم البرامج تتساوى مع برامج تعليم الرجال وتختص المرأة بتعليم ما يثقف من معاني فطرتها ما لم يكن مثله للرجال وكذلك القول في برامج تعليم الرجال».

يقول الشيخ ابن عاشور رحمه الله :

(كانت المرأة في جميع العصور السالفة قبل الإسلام وبين جميع الأمم عضوا كالأشل في المجتمع على تفاوت في مقدار الشلل غير بعيد المدى ولنقتصر على إجمال حال المرأة العربية قبل الإسلام لئلا ينتشر البحث في أحوال الأمم من جانب المرأة في التاريخ فالمرأة في العرب لم تكن مثل الأمة كما يتخيله بعض الباحثين بل كانت محل الكرامة والحرمة ولكنها كانت معاملتها مقصورة على ما تلاقيه في بيتها وكانت مهضومة في كثير من حقوقها في المجتمع وملغاة في تثقيفها وترقية تفكيرها. لهذا جاء الإسلام بإلحاق المرأة بالرجل في التكاليف من اعتقاد وعمل وآداب ومعاملات وجمع في الأقوال التشريعية بين ذكر الرجل والنساء قال تعالى ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (سورة النحل/ 97)

﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ**

وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (سورة الأحزاب/ 35 ـ 36)

وأعلنت حقوق المرأة في الإسلام آية **﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ﴾** (سورة البقرة/ 228) لقد حددت الشريعة أن لا يتزوج الرجل على امرأته أكثر من ثلاث زوجات ولم يكن في الشرائع السابقة تحديد بعدد وقال في الترغيب **﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾** (سورة آل عمران/ 195) وفي الترهيب **﴿وَيُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ وَالمُنَافِقَاتِ وَالمُشْرِكِينَ وَالمُشْرِكَاتِ﴾** (سورة الفتح/ 6) وفي شأن الآداب والصيانة **﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾** (سورة النور/ 30) إلى قوله **﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾** (سورة النور/ 31) الآية.

﴿وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالحَافِظَاتِ﴾(سورة الأنبياء/ 82) وقال **﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾** (سورة الأحزاب/ 58) وفي مقام ترسيم الحالة الاجتماعية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(ولتخرج العواتق وذوات الخدور وليشهدن الخير ودعوة المسلمين)** وفي مقام التشريع **﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾**(سورة الأحزاب/ 36) **﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾**(سورة المائدة/ 38) **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى﴾** (سورة البقرة/ 178) وحسبك أن المبايعة على الإسلام والتزام أحكامه أول ما جاءت خاطبت النساء قال الله تعالى **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ﴾** (سورة الممتحنة/ 12) فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بايع الرجال بايعهم بمثل هذه الصيغة بعد تحويل الضمائر إلى ضمائر التذكير وقد شمل قوله ولا يعصينك في معروف جميع الشريعة التي جاء بها الرسول إلا الأحكام التي قامت الأدلة على استثناء النساء منها.

ومن اجل هذه العمومات قرر الأئمة المجتهدون أن صيغ العموم التي في القرآن تشمل النساء مثل من الشرطية وكل وغيرهما ولو كانت صيغها جارية على التذكير وأن جموع المذكر وإن كانت في أصل الوضع غير شاملة لهن للأدلة الدالة على عموم الشريعة كما تقرر في أصول الفقه وأنا استدل على ذلك بدليل القرآن لم يذكروه وهو قوله تعالى **﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الأَلْبَابِ**

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَّ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ... إلى قوله فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ (سورة آل عمران/ 195-191) فعلمنا أن اصطلاح القرآن أن صيغ التذكير تشمل النساء ولأن عادة العرب إذا خاطبوا جمعا فيه ذكور ونساء أن يجروا الخطاب بالتذكير على طريقة التغليب ومقام التشريع يشبه مقام الخطاب لأن الأمة كلها مقصودة بتوجه الخطاب التشريعي من أجل ذلك لما رأى النساء إعراض الرسول عنهن في الاستنفار للجهاد رأين أنهن بحاجة إلى أن يذكرنه فقلن له وفيهن أم سلمة أم المؤمنين **(يا رسول الله ألا نغزو)** فأنزل الله تعالى **﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾** (سورة النساء/ 32) وذكر لهن رسول الله أن جهادهن أن يقمن على المرضى ويواسين الجرحى ويسقين الجيش وغير ذلك من شؤون الإعانة عدا القتال وقد كانت عائشة وأم سليم تفرغان القرب في أفواه الجيش يوم أحد وكانت أم سليم تزفر القرب للجيش يوم أحد كما جاء في كتب السنة.

ثم إن ملاك الأحكام التي ثبت فيها التفرقة بين الرجال والنساء هو الرجوع إلى حكم الفطرة فإذا كان بين الصنفين فوارق جبلية من شانها أن تؤثر تفرقة في أسباب الخطاب بالأحكام الشرعية بحسب غالب أحوال الصنف ولا التفات إلى النادر (فلا عبرة بالمرأة المترجلة كما لا عبرة بالرجل المخنث) فكما حرمت المرأة من الجهاد حرم الرجل من الحضانة.

وقد يلتفت تخصيص النساء بأحكام لفت ما بين الصنفين من الفوارق في معظم عادات البشر وهذا مجال للاجتهاد والاختلاف بين علماء الإسلام كما اختلفوا في إسناد بعض الولايات اختلافا شديدا ركضت في شأنه جياد الاستنباط في حلبة الاجتهاد متسابقة إلى هذا المدى الذي علمنا عليه إثباتا ونفيا وقد بلغ حد الاجتهاد بمالك أن خص من عموم قوله تعالى **﴿وَالوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾** (سورة البقرة/ 233) ذوات القدر اللائي لم تجر العادات بأنهن يرضعن أولادهن بأنفسهن فيجب على الآباء استئجار مراضع لأولادهن وينبع لنا من هذا أن العلم الذي تطالب به المرأة تجري برامجه على مثل ما جرت عليه مراعاة التشريع لهن فمعظم البرامج تتساوى مع برامج تعليم الرجال وتختص المرأة بتعليم ما يثقف من معاني فطرتها ما لم يكن مثله للرجال وكذلك القول في برامج تعليم الرجال وللبسط في هذا العمل مجال)

انظر الصفحات 97 و98 و99 و100 من كتاب : **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.**

قراءة في كتاب نولدكه عن «تاريخ القرآن» (القسم الثاني)

بقلم الدكتور محمد المختار ولد اباه

رئيس جامعة شنقيط العصرية / موريتانيا

حول جمع القرآن:

والجزء الثاني من هذا الكتاب كان من انجاز المستشرق فريديريش شفالي (Shwally) الذي عهد اليه نولدكه بتعديله وإعادة نشره، ولم يتم طبعه إلا بعد وفاة شفالي، فأكمل هاينرس تسيمرن (H.Tsirmen) الذي يقول إن النص الاصلي الذي كتبه نولدكه لم يترك منه شفالي إلا مقاطع قليلة.

وبدأ الكاتب بحفظ القرآن في العهد النبوي، ثم اورد ترتيب السور في المصاحف المنسوبة إلى الإمام علي بن أبي طالب حسب رواية اليعقوبي. ويذكر انها لم تتضمن خمس سور قد تكون قد سقطت سهوا وهي: الفاتحة، الرعد وسبأ، وسورة محمد والماعون. وأنه قد قسّم إلى سبعة أقسام قد تكون معدة للقراءة (في أيام الاسبوع) وكل قسم يبدأ بإحدى السور الطوال ويشمل نحوا من 16 سورة مرتّبة حسب عدد الآيات فيها.

ثم تحدّث عن مصاحف أبي وابن عمر وابن مسعود وأبي مسعود وابي موسى الاشعري، وأورد ترتيبها حسب رواية ابن النديم في الفهرست والسيوطي في الاتقان، وشكّك في صحة ما سُمّي بسورتي الخلع والحفد المنسوبتين إلى مصحف أبي بن

كعب. وتجدر الإشارة هنا أن في ذكرهما مع رواية أبي بن كعب تنبيه على الحكمة في نهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب شيء من الحديث النبوي مع القرآن.

أما فيما يخص رواية أبي موسى الأشعري فقد أورد منها عدة آيات ان تكون صحّت عنه فإنما هي مما نُسخ لفظه. ومنها مثلا: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون»، فتكتب شهادتهم في أعناقهم فيسألون عنها يوم القيامة. ثم افاض الحديث في المصاحف العثمانية.

وفي معرض النسخ في القرآن، يقول الكاتب: يلجأ محمد في المدينة إلى توسيع آيات سابقة بواسطة إضافات صغيرة أو استطرادات أو حتى حين يستبدلها بنص جديد ذي مضمون مختلف أو يلغيها كان يلجأ لهذا لكي يرخي القيود التي وضعها من خلال الايات المثبتة بالكتابة حول حريته النبوية دون انتباه» ولقد ظلّت هذه الفكرة سائدة في هذا الكتاب، وهي أن القرآن الكريم من صنع الرسول عليه الصلاة والسلام وانه يتصرف في مواضيعه بطرق شتى.

واستعرض الانتقادات المعهودة من طرف متعصبي المستشرقين. وذكر منها فايل الذي كان يزعم أن الخليفة أبا بكر اختلق الآية التي احتج بها على عمر بن الخطاب عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. ولكن الكاتب فنّد هذا القول الناشز، مذكرا بالايات الواردة في معركة أحد، وان المسلمين ظنوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أصيب فيها، **وهي ملاحظة مصيبة، حتى ان إحدى الصحابيات قالت: كل مصيبة بعدك جلل ويقول البدوي الشنقيطي:**

وصرخ الصارخ أن مات النبي وارتهـــبوا لذاك كل الرّهب

وذكر أيضا اتهامات بعض غلاة الشيعة بتحريف كتاب رب الارباب، وأورد ما سُمي بسورة النورين، لكنه لم يجد صعوبة في إثبات انتحالها.

كما اعترض أيضا على زعم فايل أن الخليفة أبا بكر قد اضاف الاية التي في سورة الاحقاف تبدأ بقول الحق ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ وزعم فايل أيضا أن الاية الاولى من سورة الاسراء قد وضعت في عهد أبي بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر أن فايل اتهم أيضا الخليفة عثمان بحذف الآيات التي تناهض بني امية، لكن الكاتب

عقّب على ذلك بقوله أن فايل لم يُعط اي دليل على زعمه هذا. وفي نهاية الأمر أقرّ بأصالة المصحف العثماني بقوله « كل ما ذكر يؤكد كون مصحف عثمان كاملا واامينا باكبر قدر يمكن أن نتوقعه، إنها بالدرجة الأولى هذه المميزات التي جعلت الجماعة الإسلامية الناشئة تعتمده بسرعة وسهولة ولم يكن لأي إجراءات قمعية من قبل السلطة وحدها أن تحقق ذلك على الإطلاق» **وهو هنا يعترف بسلامة الإجراءات التي اتخذها الخليفة عثمان في جمع المصحف.**

ولكن من أغرب الآراء التي اعتقدها نولدكه، ثم رجع عنها وأصرّ عليها بعده هرشفلد (Hirschfeld)، هو ما فسّر به فواتح السور من أن كل حرف منها يُشير إلى نسخة امتلكها احد الصحابة ما عدا «أل» التي بقيت للتعرف، أما «م» فهي إشارة إلى نسخة المغيرة.(وهل كانت للمغيرة نسخة من القرآن؟) و«ص» تشير إلى حفصة، و«ر» إلى الزبير، و«ك» إلى أبي بكر، و«ه» إلى أبي هريرة، و«ن» إلى عثمان، و«ط» إلى طلحة، و«س» إلى سعد بن أبي وقاص، و«ح» إلى حذيفة، و«ع» إلى عمر أو علي أو عائشة أو ابن عباس و«ق» إلى القاسم بن ربيعة.

وغني عن البيان ما في هذا الراي من سخافة وبعد عن الحقائق التاريخية المتواترة في القراءات ورسم المصاحف.

وحول مقارنة القرآن بالكتب السماوية الاخرى، ذكر الكاتب أن الكتب المقدسة اليهودية والمسيحية هي من صنع الإنسان بالرغم أن التصور ساد في وقت مبكر بان الروح القدس ألهم كتّاب اسفار المقدس ما كتبوه (رسالة بطرس الثانية). أما القرآن فيختلف عنها اختلافا تاما فبالرغم أن محمدا هو موضوعيا وفعليا مؤلف الآيات والسور الموضوعة في هذا الكتاب فهو لا يعتبر نفسه صاحبها بل الناطق باسم الله والمبلّغ كلامه وآرائه. ولهذا السبب لا يتكلم في القرآن إلا الله.

ويزيد قائلا «أنه لا يسع المتخصص في تاريخ الاديان إلا أن يرى في هذا الامر وهما. لكن النبي كان متحمسا حماسا بالغا. واعتقد جديا بالاصل الالهي للآيات والسور وآمن اتباعه بذلك». **أجل إن القرآن كلام الله ونحن على ذلك من الشاهدين.**

ونقرأ في آخر الجزء الثاني فصلا بعنوان «البحث المسيحي الحديث، ونقد الروايات». وفي هذا الفصل يلخص لنا الكاتب منهج مجموعة من المستشرقين الذين تناولوا حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، وبدأه بقوله: «إذ اعتبر العلماء المسيحيون إبان العصور الوسطى، حتى إلى بداية العصر الحديث، مؤسس الإسلام «دجالا أو

مخادعا أو نبيا كاذبا»، فإنه لم يخطر ببال أي أحد منهم التشكيك في مصداقية الرواية الإسلامية بحد ذاتها»

وأول أوروبي حصل على معرفة دقيقة في كمية المواد الضخمة للرواية العربية، وقام بتصفية نقدية للمضمون ألويس شبرنغر Alays Spenger في أعماله سنة 1856 حول حياة محمد، الذي وصف الجزء الأول من السيرة النبوية بانها أساطير واكاذيب، وان أكثر الروايات تأثرت بنشاط الوضّاعين، وزعم أن من بينهم ابن عباس وابو هريرة.

وأتى بعده وليام موير الذي عزى الدوافع في تعديل الروايات ونشوئها إلى عوامل سياسية والى نزاعات الفرق والقبائل والعائلات، ثم استطرد أعمال دوزي((Dozy، ونوّه ببحوث غولد تسهير (Gold Ziher) الذي عمّق معارفنا (كما يقول الكاتب) بالطبيعة المغرضة للحديث، وتوضيحها بكثير من الأمثلة الصارخة، واخيرا هنري لنس، صاحب الآراء المشهورة حول القرآن والحديث

ثم عدّد المستشرقين الذين ساروا في هذا النهج الذي يتلخص في المقولة التالية: «إذا اعتبرت كل رواية قديمة صحيحة من البدء وحتى يثبت العكس فإن على الباحث أن يعتاد تدريجيا على اتخاذ الموقف المخالف». وبعبارة أخرى، فإن على الباحث المتتبع لمنهج المستشرقين، أن يعتبر كل رواية إسلامية غير صحيحة حتى يثبت العكس واثبات العكس مستحيل، لأننا لا يمكن أن نصحح رواية إلا برواية أخرى.

ولذلك فان اتباع نهج غولد تسهير قد ياخذون على القدماء الذين اعتبروا النبي صلى الله عليه وسلم نبيا كاذبا، كونهم لم يشككوا في الروايات الإسلامية. وهكذا يتم عمل المحدثين باعتبار الرواية الإسلامية غير صحيحة من اصلها، وقد يستحيل أيضا تصحيحها، ومع ذلك فإننا لا نغفل كون نولدكه تحفّظ على كثير من آراء زملائه من المستشرقين حول النبي صلى الله عليه وسلم وبالخصوص آراء موير وفايل.

الجزء الثالث: حول رسم المصاحف:

بدأ الجزء الثالث بفصل عما سمّاه بأخطاء النص العثماني. فأورد الكاتب فيه بعض الروايات التي من أشهرها قول الخليفة عثمان نفسه متحدثا عن كتابة المصحف أن فيه لحنا ستقيمها العرب بألسنتها، مع إبراز آراء بعض النحويين في صيغ بعض القراءات المعروفة، ثم تحدث عن خصائص كتابة المصحف.

وفي هذا المعرض ذكر كتابات سماها باوراق لويس، وقال إنها كتابة لنصوص قرآنية تخالف مصحف الخليفة عثمان وقارن بين صيغ كتاباتها مع مخطوطات

المصاحف الصحيحة، ولكنه لم يستخلص استنتاجا يذكر في شان هذه الاوراق.

ثم عاد إلى كتابات المصاحف المنسوبة إلى أبي وابن مسعود وذكر كل ما قيل فيها.ثم تناول ما قالوا إنه الترجمة السريانية المزعومة لنص قرآن غير عثماني، فذكر الكاتب أن المدعو منغانا قد عثر على قطع من نص قرآني تخالف مصحف الخليفة عثمان في مصنف كتبه ديونسيوس بارصليبي (1171 بعد الميلاد) الذي يتهجّم على الإسلام. وزعم أن هذه النصوص قد ترجمت إلى السريانية في عهد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان.

لكن الباحث منغانا بيّن اخطاء استشهادات بارصليبي، كما أن نولدكه أيضا قال إن النص المذكور لا يعود إلى الأزمنة الاولى للإسلام، ولا تولّد لديه الانطباع انه نص قديم.

ويُميّز كاتب هذا الجزء نوعين من القراءات، أحدهما ما سمّاه بالقراءات المترابطة، وهي في رأيه القراءات التي تخص أحد الامصار، مثل قراءة أهل الكوفة، (عاصم، حمزه، الكسائي)، والقراءات المفردة وهي التي تنسب إلى كل إمام على حدة.

ويذكر أن ابن مجاهد أحدث قطيعة بين النوعين حين رسّخ القراءات المفرجات في كتاب السبعة، وان هذه القطيعة لم تغيرها محاولات ابن مقسم أو ابن شنبوذ، ولا معايير مكي المعروفة (وهي الرواية الصحيحة، وموافقة الرسم العثماني والوجه العربي) واعتقد الكاتب أن الزمخشري كان أهلا لأن يعيد الأمور إلى نصابها مع انه اعترف انه ليس من أهل الاختصاص

وهذا الرأي يكاد يلغي أو يختزل اتفاق القرّاء على صحة القراءات العشر، والروايات الكثيرة المتفرعة عنها، بما فيها اختيارات أئمة هذا الشأن.

ونجد في آخر الجزء الثالث عرضا مفصّلا عمّا سماه الكاتب تزويد المصاحف بعلامات القراءة. اعتمد فيه على كتب الداني وابن أبي دواود.

إلا أنه لم يدرك التقسيم الدقيق الذي وضعه علماء القراءات بين الرسم الذي لا يجوز المساس به حفظا للنص القرآني حسب ما كتب في المصاحف العثمانية، وبين ما يُعرف بالضبط، وهو يشمل جميع الزوائد من النقط والشكل وعلامات الهجاء في المصاحف.

والمعروف أن الرسم استوعب جميع القراءات المتواترة، حتى صار من أركان ثبوت قرآنية النص. أما بالضبط، فإنه ينير طرق استعمال الرسم في هذه القراءات،

ومثال ذلك ما نراه في سورة طه في قوله تعالى «إن هذان لساحران». فقد قرأها أبو عمرو بن العلاء «إن هذين» بالياء، وقرأها غيره بالالف، واحتمل الرسم القراءتين، لأن الألف والياء يمكن إضافتهما في مجال الضبط.

ومن بين المصادر التي لم يذكرها في هذا الموضوع كتاب المحكم لأبي عمرو الداني والتنزيل لابن نجاح، وعمدة البيان للخرّاز، التي سبقت نظم المورد، وكتاب المنصف، وتكملة المورد لابن عاشر في رسم قراءات الأئمة من غير نافع.

ملاحظة عامة:

لقد تحدثنا في مستهل هذا المقال عن أهمية هذا الكتاب، غير أن أهميته، بالرغم مما تضمن من معلومات متنوعة ومحاولة منهجية لعرض مراحله، قد تعود إلى عوامل خارجية، ذكرنا منها مكانة الحركة الاستشراقية في اوروبا، ومكانة المؤلف في هذه الحركة، وكون هذا الكتاب صار المرجع الأول لدراسات المستشرقين عن القرآن الكريم.

ولكن حينما نرجع إلى مضامينه، فإننا نلاحظ أن هذه الأهمية تتناقض وتتضاءل حتى لا يبقى منها إلا القليل.

ونذكر هنا الموجبات الموضوعية لهذا التناقض الذي يخلق في النفس اضطرابا وشكا بالغين في القيمة الحقيقية لهذا الكتاب. فمنها:

أولا: أن الكتاب لم يعد في الحقيقة تاريخ القرآن كما تصوره الكاتب، إذ لم يبق منه إلا قطع متفرقة حاول الذين تناولوه بعده أن يقدموا عليها تعديلات كثيرة، دون أن نعرف ما هي اسباب هذا التعديل، وما هي الافكار التي تغيّرت في النسخة الاصلية، التي لم نطلع عليها.

ثانيا: إننا نلاحظ في الجزء الأول الذي اقر نولدكه تعديل فرديريش فيه، كثيرا من التناقض الصارخ، الذي جعلنا لا نميّز الموقف الثابت للمؤلف.

ونورد في هذا المجال أمثلة من هذا التناقض، إذ نقرأ للمؤلف عن شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام.

«إنه نبي حقا، وانه صادق مع نفسه فيما يعتقد ويدعو اليه، ويفنّد كثيرا من آراء منتقديه»، لكنه في نفس الوقت يسمه بضعف الشخصية، وانه يستغل سلطة القرآن لماربه الشخصية، وانه يختلق الآيات بحسب هواه»

ثالثا: إنه أقر أن الرسول صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء الذين على صلة دائمة بالألوهية ولكنه بالرغم من هذه الاعترافات الصريحة، ظل متشبثا في غرضه، بان القرآن من صُنع محمد صلى الله عليه وسلم، وانه كان يُمليه عندما تنتابه ظروف نفسية خاصة، فهو في النهاية لا يشذ عن أفكار المستشرقين.

رابعا: يبلغ بنا الشك أعلاه حينما نقرأ ما يقوله نولدكه نفسه عن كتابه حين طلب من شفالي تحسين الطبعة الثانية لكتابه إذ يقول:

«وإذا لم يك في وسعي، لأسباب عديدة، أن امنح هذا العمل الشكل الذي يرضيني إلى حد ما، اقترحت، بعد تفكير يسير، على تلميذي القديم وصديقي الأستاذ شفالي ليقوم به، فأعلن استعداده لذلك، وقد قام بقدر الإمكان، بجعل الكتاب الذي أنجزته بسرعة قبل نصف قرن مراعيا للمستلزمات الحاضرة، أقول «بقدر الإمكان» لأن آثار الوقاحة الصبيانية لن يمكن محوها بالكلية، بدون أن يُعاد تاليف الكتاب، بعض ما قلته حينذاك قليل أو كثير من الثقة، انعدمت ثقتي به لاحقا»

وهكذا انعدمت أيضا ثقتنا نحن بهذا الكتاب مثل ما انعدمت عند كاتبه من قبل.

من مؤلفات العلامة فضيلة الشيخ عبد الله بن بيه

(رئيس منتدى ابوظبي لتعزيز السلم ورئيس مجلس الامارات للافتاء الشرعي)

- تنبيه المراجع في تأصيل فقه الواقع
- مشاهد من المقاصد
- صناعة الفتوى وفقه الأقليات
- مقاصد المعاملات ومراصد الواقعات
- سد الذرائع وتطبيقاته في مجال المعاملات
- توضيح أوجه الاختلاف في مسائل من معاملات الأموال

إلى جانب عناوين أخرى وفتاوى وبيانات وورقات عمل قدم به فضيلته مؤتمرات منتدى ابوظبي لتعزيز السلم. بارك اللّه في جهوده وأمدّ في أنفاسه ونفع بعلمه الأمة انه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

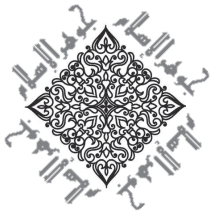

مفاهيم إسلامية

من هدي الإسلام في تنظيم العلاقات الزوجية والأسرية

بقلم الشيخ الحبيب المستاوي رحمه الله

عني الإسلام بالمجتمع عناية فائقة لا تقل عن عنايته بالفرد فلم يهمل خلية من الخلايا ولا وحدة من الوحدات إلا وسن لها أنظمة واضحة محددة تجعل الحق والواجب يعيشان جنبا إلى جنب بدون أن تتجاوز الحقوق حدودها فتميت الواجبات أو تقلل من أثرها في عالم الواقع والتطبيق،

وإذا ما شاهدنا ألوانا من الانحراف في الحياة الاجتماعية والفردية بالنسبة للمجتمع المسلم فان الذنب في ذلك ليس ذنب الإسلام الذي هو براء من كل عيب بل الذنب ذنب المسلمين الذين لم يطبقوا تعاليم دينهم ولم يلتزموا طريقته المثلى التي حققت وتحقق الأعاجيب في جميع مجالات الحياة البشرية.

وكثيرا ما تحمل الإسلام اعنف اللوم واشد النقمة ظلما ممن لم يحسنوا التفريق بين الإسلام والمسلم وجعلوا السلوك عنوان المبدأ بل جزءه الذي لا ينفصل عنه وهذا لعمري ظلم صارخ استهدف له الإسلام دون غيره من بقية الدساتير السماوية والأرضية إذ لم نسمع أن امة تنتهك حرمة دستورها القومي من طرف مسؤول أو غير مسؤول توجه نقدها أو نقمتها إلى الدستور ذاته بل يوجه النقد أو النقمة إلى ذلك المسؤول ولو من طرف أعداء تلك الأمة ولم نسمع أن حزبا من الأحزاب أو منظمة من المنظمات الاجتماعية حاد المنخرطون فيه أو فيها عن الأهداف الأساسية والمبادئ المذهبية فقيل إن ذلك الحزب أو تلك المنظمة غير صالح أو غير صالحة

إنما فقط يقاوم الانحراف والمنحرفون ويترك للحزب وللمنظمة قداستها التي يجب أن تصان وتحفظ.

ومما أسيء فهمه واستعماله من مبادئ الإسلام وتعاليمه مسالة تنظيم العلاقات الزوجية وطريقة بناء الأسرة على أسس قويمة حكيمة تكفل لها المناعة والتماسك إذ أن من ينظر إلى ما خطه الإسلام في خصوص هذه القضية من أنظمة وتعليمات وتوصيات يدرك بداهة انه أعطى لكل حالة لبوسها وجعل الأشياء في نصابها الحقيقي ولم يترك زيادة لمستزيد فهو يلقي أضواءه الكاشفة على أول حركة من حركات بناء المجتمع الصغير فيوضح الكيفية التي تبنى عليها العلاقة الزوجية منذ لحظة التفكير الأولى إلى جميع الحالات الأخرى التي تتبع التفكير وما قول الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابي الذي سأله عن الزوجة المثالية (**فاظفر بذات الدين تربت يداك**) إلا اكبر دليل على ضبط العواطف والسيطرة على المشاعر ثم إلحاح الإسلام على مسالة الاختيار الحر المباشر في ربط الصلة الزوجية وجعل المهر والصداق أمورا مبنية على المكارمة لا المشاحنة حتى تنتفي الغايات المادية: غايات الاستغلال والاحتيال وما إليها وبعد كل هذه الخطى المتئدة الرصينة يقع اللقاء على نية أن يسكن كل منهما لصاحبه ويشاطره مشاكل حياته وان يبنيا معا حياة كريمة لشخصين كريمين.

ويقدم القرآن توصية ونصيحة أو تعليمات وضوابط فيقول ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ**﴾ ويقول أيضا ﴿**فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ**﴾ ويقول عزّ وجلّ ﴿**فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الكِتَابِ وَالحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾، ويقول في أول سورة النساء ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً**﴾ وفي آية أخرى يقول ﴿**وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا**﴾ فهو يجعل الزوجة جزءا من الرجل ويقيم العلاقة بينهما على الحب والإيثار ويوزع المسؤوليات عليهما حسب التخصص والاقتدار ثم يحرص على دوام هذه الرابطة وإثمارها فيجعل الطلاق مما يهتز منه عرش الرحمان ويجعله ابغض الحلال إلى لله ولا يتسامح في إيقاعه إلا حيث لا مندوحة عنه

وبديهي أن ترفرف على عائلة كهذه العائلة أجنحة الملائكة وان يعم خيرها الأصهار والأقرباء والبنين والحفدة وان تصبح مثالية في جميع أمورها.

ولقد عاشت هذه التعليمات والنظم بين إفراط وتفريط فمن تجبر عند بعض الأزواج وأهليهم يحاول أن يجعل من المرأة سائمة أو امة أو متعة. إلى تنمر وتنكر عند بعض الزوجات وأهليهم يجعل المرأة مجرد صديقة لا تقر بإلزام ولا بالتزام. وهذه في الواقع مظاهر تخلف أو تطرف وكلاهما شطط وخير الأمور الوسط.

وما أحرى المسلمين بان يلتفتوا في ما يعترضهم من مشاكل إلى أصول تشريعهم الإسلامي يستلهمون منه رشدهم ويعتصمون به من أفتي التطرف والجمود الذين هما أصل كل علة وسبب كل بلاء للقضاء على هذه الأنواع من التطرف والجمود ولتحقيق ذلك الاعتصام وتلك المثالية.

فالوئام والحب هما الشرط الأساسي لتحقيق السعادة الحق إذ بدونهما لا يغني المال ولا الجاه ولا حتى الصحة والعافية وعسى أن نرى من جميع من يهمهم الأمر العناية بحل المشاكل قبل استفحالها حتى نجعل أسرنا تسمو إلى المقامات الكريمة وتتفرغ لما تقتضيه الحياة من جهاد وجديه وما المجتمع إلا تجمع الأسر على نمطها يكون وهي التي تصبغه بأي لون ومن يهدي الله فلا مضل له.

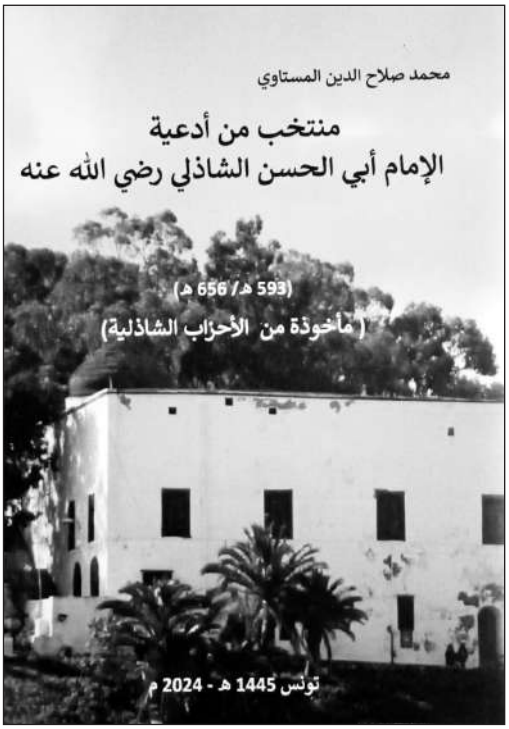

جذر الأمازيغية عربي وخط كتابتها عربي

بقلم الدكتور عثمان سعدي ـ الجزائر

تدور في هذه الأيام أقاويل ينشرها دعاة الأمازيغية، فيشتمون العربية ومن يدافع عنها، ويعتبرون العربية معاداة للأمازيغية والتراث الأمازيغي. وأنا أرد عليهم بأن الأمازيغية والعربية من أرومة واحدة لا تناقض بينهما، وأن الذي فرق بينهما هو المستعمر الفرنسي الغاشم منذ 1830 ، وأنه قبل هذا التاريخ لم يوجد أمازيغيّ واحد ينتمي للأمازيغ يعادي العربية، كل الأمازيغ قبل هذا التاريخ كانوا يؤمنون بأن العربية والأمازيغية كيان واحد وأن العربية لغتهم.

جذر كلمة أمازغية عربي M

إن جذر كلمة أمازيغية عربي وأنها لا توجد إلا في قاموس اللغة العربية، وإليكم ما ورد في معجم (لسان العرب لابن منظور) حيث ذكر مزرَ معناها قوِيَ واشتد قلبه. ومزَغ تعني وثَب، يقول ابن منظور: مزر

ويُروى: أَسدٌ مَزِيرُ، والجمع أَمازِرُ مثل أَفِيل وأَفائِلَ؛ وأَنشد

الأَخفش: (هو النحوي المشهور كان أحب امرأة فتخلت عنه وانصرفت لرجل طويل القامة، كان الأخفش قصيرها) فأنشد هذين البيتين مفتخرا بالرجال القصيري القامة)

إِلَيْكِ ابْنَةَ الأَعْيارِ، خافي بَسَالَةَ الـ ـــرِّجالِ، وأَصْلالُ الرِّجال أقاصرُهْ

ولا تَذْهَبَنْ عَيْناكِ في كُلِّ شَرْمَحٍ طُوالٍ، فإِنَّ الأَقْصَرِينَ أَمـــــازِرُهْ

شرح الكلمات: أصلال جمع صِلٌّ وهو ذكر الثعبان.

الأمازرُ : الأقوياء أشداء القلوب

معنى البيتين : يا ابنة الأعيار التي عِبْتِ عليّ قصر قامتي، أعلمك أن فحول الرجال هم قصيرو القامة، هم كذكور الثعابين أقوياء أشداء القلوب,

مَزَغَ: قال ابن بري: التمَزُّغُ التَّوَثُّبُ؛ قال رؤبة:

بالوَثْبِ في السَّوْآتِ والتمَزُّغِ

السوآت : جمع سَوْءٌ أي كل ما يغمّ الإنسان. ومعنى شطر البيت: بتجاوز كل ما يبعث على الغمّ والهمّ والقفز عليه :

النزعة الأمازيغية البربرية :

ينبغي أن نفرق بين أمازيغية أو بربرية التي هي عنصر من تاريخ المغرب العربي، وبين النزعة الأمازيغية البربرية وهي إيديولوجية صنعها الاستعمار الفرنسي وتسيرها الأكاديمية البربرية بباريس منذ تأسيسها سنة 1967 وتطبق توجيهاتها الجمعيات الأمازيغية العنصرية العرقية الفرنكفونية بالمغرب العربي، وتطلق على هذه النزعة Berberisme ، ومنذ تاريخ تأسيسها صار البربريون يكتبون اللهجة القبائلية الأمازيغية بالحرف اللاتيني، وهذا التلتين تبنته المحافظة السامية للأمازيغية التي تدير المسألة الأمازيغية بالجزائر. بينما التراث الأمازيغي مكتوب بالحرف العربي، وحرف التيفيناغ الذي يستعمله التوارق البدو بالصحراء والذي يزعم البربريون أنه الحرف الأمازيغي هو مستمد من الحرف الكنعاني الفينيقي المنحدر من حرف المسند العربي باليمن السعيد. اللغة الأمازيغية تعتبر لغة الضاد الأمازيغ يفرقون بين الضاد والظاء، الكاتب الجزائري الأمازيغي السعيد الزاهري نشر مقالا في مجلة المقتطف المصرية سنة 1938 عنوانه (البربرية لغة الضاد).

والذي يؤكد كتابة هذا التراث بالحرف العربي أن ديوان الشاعر القبائلي الأمازيغي الكبير محند أُو محند، الذي ولد في قرية أقمون (الأربعاء أنيراثن) سنة 1883 وتوفي سنة 1946 على الأرجح والذي يعتبر في مستوى الشعراء العرب الكبار ، وأنا أشبهه في سيرته وشعره بالشاعر العربي الشنفرى، يقول عنه الشيخ عبد الرحمن شيبان رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنه متنبى الأمازيغ، شعره موزون مقفى في طابع الموشح، أسميه ثلاثيات سي موحند. وأقدم للقراء الكرام ثلاثيات لهذا الشاعر مستمدة في ديوانه الذي نشره في كتاب رائع عنوانه (أشعار سي موحند الحوار الرفيع بين الصوت الأمازيغي والحرف العربي) للمؤلف عبد الرحمن بوزيد، الصادر عن دار الحكمة بالجزائر سنة 1990 ، الشعر مثبت بالقبائلية مع الترجمة العربية. وقد وضعت خطا تحت الكلمات

العربية في النص القبائلي وهي كثيرة، لأبين أن الشاعر لا يستعمل الكلمات الفرنسية إلا نادرا وأن تسعين في المائة من كلمات اللغة الأمازيعة جذورها عربية، وقد أثبت ذلك في (معجم الجذور العربية للكلمات الأمازيغية) الذي أصدرته سنة 2007. كمأ أوضح أن الأكاديمية البربرية في باريس قامت بتطهير القبائلية التي تعتبرها هي الأمازيغية، تطهيرها من الكلمات التي فيها رائحة الإسلام والعربية مثل (السلام فلاّون) التي صارت (أزّول فلاون)، مع أن كلمة أزول لا وجود لها في أي لهجة أمازيغية، التحية المتداولة في سائر اللهجات الأمازيغية بما فيها القبائلية هي (السلام فلاّون) أي السلام عليكم ، ومن الغريب حتى اليهود العبرانيون يحيون بكلمة السلام، فيقولون (شالوم عِمِّيخم) أي السلام عماكم وهي قلب لكلمة معكم والقلب مشهور في العربية، ففي صحراء الجزائر بعض العشائر تقول خذني عماك بدل معك؛ واستبدلت كلمة الشهيد في الأمازيغية بكلمة أمغراس؛ ومثل كلمة يَلّو التي حلت محل الله ورب؛ كما استبدلت عشرات الكلمات ويطبق هذه الخطة في تبديل الكلمات البربريست الفرنكفونيون بالجزائر. ولنلاحظ ان الشاعر محند يستعمل في شعره اسم الجلالة ربّي والله.

في هذه الثلاثية يقول الشاعر أنه غريب في قرن يسيطر عليه الاستعمار فجعله معوجا، فقلبي يتزلزل من هذا الاعوجاج، بحيث صرت في بلدي كاليتيم المسجون

الترجمة	الأمازيغي
كم فؤادي يترجرج	أثَا أولِيُو إسْرَجْرَجْ
إن هذا القرن أعوج	أفَ القَرنْ أعوَجْ
كاليتيم غلقوا الأبواب دوني	أيَ أوصاغْ أمْـثـوجيلْ ثَبُّورَثْ

وفي ثلاثية أخرى يصف القرن تحت المستعمر بالرعب الذي أثرى فيه المستعمرون وعملاؤهم الكلاب وتدهورت حياة كل نبيل:

إن هذا القرن رعبٌ	القرنْ أَقْإِسَرْهبْ
أثرى فيه أيّ كلبٍ	ذَف رَفْهانْ لَكْلابْ
وانهزمَ كلّ نبيلٍ	ثَرْزَمْ يا أولادْ بابْ الله

ويحدد هوية المنافق المدعي فيقول إن من يزعم أنه قديس بينما هو غارق في المحيط النجس حاملا في يده سبحة

كم تباهَوْا بالقداسة	أطَاسْ أيْ ثـوغانْ الميثاقْ
غارقينَ في النجاسةْ	ذِ الذْنوبْ إعلاقْ
وعلى الأعناق سبحه	تَسْبَحْ إزْف غافْ إيريسْ

ويتكلم بفلسفة عن توحيده لله وقبوله بصبر كل ما يأتي منه

سبحانك يا أوحدْ سبحانك يا واحد الأوحد
وجب أن نحمدْ ذا الواجَبْ أكْ نَحْمَدْ
كلما أعطيتَ نَصبرْ ثَفْكيدْ القُدرى نَصَبْراسْ

وفي تعبير المتصوف يقول إنه اختار تقاه الذي هو عبارة عن بستان كله زهور منورة، أشجاره بها الثمار النادرة

اخترت بستاني اختيار غيغْ لجْنانْ سَلْخَتيرْ
فيه النّوّار جارْ أقوانْ ذَقْسْ لَنْوارْ
ومن الأشجار ضم ما ندرْ سَكْرْ ذاكْرانْ إلْساونْ

يصر الشاعر على أن الوطني المخلص يرضى بأن يسحق على أن ينحني للظلم، العصيان واجب لإدارة يديرها عملاء ويستعمل وصف قواد، في اللهجة الجزائرية التي تعني أحط ما يقوم به رجل عندما يصير رابط اتصال بين النساء البغايا والرجال الفاسقين، ويستعمل كلمة شاف chef»وتعني بالفرنسية رئيس

نُهرَسُ ولا انحناء أنَرَّزْ وَلاَ أنَقْنو
إنما العصيان أولا أرَخِيْ دَعْوِ السّوءْ
حين يصير القَوادون قادة أَنْدَ أَتْسِقْوِيدَنْ شِفاَنْ chefs

يقول صار وطني في ظل الاستعمار غريبا، يسير كسفين بغير شراع، فركبني كمواطن اليأس الشديد، واسم الوطن الأرض بالأمازيغية الوارد بهذه الثلاثية (أمّورث) وهي عربية « أرض ممرّثة إذا أصابها غيث قليل».

موطني قد صار بِدعهْ تْمُورْثيُو ذِلْ بِدْعَا
يخبط من غير شرعهْ فَغَنْ أَوْكْ سِ أشرعا
زاد يأسي وتأكّدْ أَبريدَا قِطْعَغْ لَياسْ

بهذه المعلومة المختصرة نؤكد للقارئ الكريم أن العروبة والأمازيغية تعود إلى أرومة واحدة، يجمع بينهما كلُّ شيء ولا يفرق بينهما أيُّ شيء، وأن الحرف العربي هو الذي يعبر عن سائر الصوتيات للأمازيغية، وأن التراث الأمازيغي الثقافي كتب بالحرف العربي، وأن الأكاديمية البربرية في باريس التي نشأت سنة 1967 بعد استقلال الجزائربخمس سنوات هي التي تدير المسألة الأمازيغية بالجزائر والمغرب بالحرف اللاتيني، وأن البربريون الفرنكفونيون الجزائريون يطبقون توجيهات هذه الأكاديمية

أما تَدْرونَ يا عربُ ؟

شعر الأستاذ إبراهيم الربو ـ ليبيا

هاتيكَ غزةُ بالعُدوانِ تَنْتَكِبُ ... فهَلْ عَلِمْتُم أمَا تَدْرُونَ يا عَرَبُ ؟
تِلكَ السّماءُ غدتْ بالمَوْتِ مُمْطَرَةً ... وهَذِهِ الأرضُ فيها الرُّعْبُ مُرْتَعِبُ
كمْ من رَضِيعٍ قضَى في حُضْنِ والدةٍ ... كم من مُسِنٍ تَغَذَى جِسْمَهُ اللّهَبُ
كم من دِماءٍ وأشلاءٍ مُبَعثرةٍ ... كم من مَجازِرَ في الأحْياءِ تُرتَكَبُ
كم من رُكامٍ على الأجْسادِ يَطمُرَها ... تَبْكيهُمُ الأرضُ والأجْوَاءُ والسُّحُبُ
كم من ثكالَى ولا صَوتٌ يؤازِرهُم ... ماتَ الضّمِيرُ فلا ثأرٌ ولا غَضَبُ
هاتيكَ غزّةُ يا حُكّامَ أمّتِنا ... ألَا ترَوْنَ ألَم يَنْتابِكُم كَرَبُ
أوّاهُ يا مِصرَ كم في القَلبِ من ألمٍ ... فَلَتعْذُرِيني إذا ما نَالَكِ العَتَبُ
فَهلْ تُجاري بِني صُهيونَ آمِلةً ... أنْ يَخرَجَ اليومَ من زقُّومِهِم عِنَبُ
أو أنْ يَهزّوا بأيدِي السِّلمِ نَخْلَتَهُم ... كَيْ يَسْقُطَ اليومَ من عَلْيائها الرُّطَبُ
أو سُمُّ أفْعَاهُمُ قد صَارَ واعَجَبي ... شَهْداً نَقِيّاً من الأنْيابِ يَنْسَكِبُ
تلكَ الأراجِيفُ ما عادَ يُصَدِّقُها ... لا الفرسُ لا التُّركُ لا الأكْرادُ لا العربُ
أوّاهُ يا مِصرَ ذا التاريخُ يَخْذُلنِي ... فأيْنَ ما قَالتِ الآثارُ والكتُبُ ؟
يا أزْهرَ النّورِ أينَ الروحُ من جَسدٍ ... غَدا طَريحاً عليهِ الناسُ تَنْتَحِبُ ؟
قد ماتَ رَمْزا وقد ماتتْ مآثِرُهُ ... لم يَبْقَ فيهِ سِوى الأقواسُ والقُبَبُ

كم كانَ ليْثاً تَهزُّ الغَابَ زأرَتُهُ ... واليومَ من غَابةِ التاريخِ يَنْسَحِبُ
كفَرتُ بالشّعْرِ يا شِنقِيطَ مَعْذِرَةً ... كيفَ السّكُوتُ وهذا الجُرْحُ مُلْتَهِبُ
ما للمَحاظِرِ يا شِنْقِيطَ صامِتَةٌ ... ما للقَرِيضِ عَلا سِيقانَه الجَرَبُ
أينَ الرّباطُ وبغدادُ وتونُسُنا ... أينَ الذّين إلى المُخْتارِ قد نُسِبُوا
أينَ الجَزائرُ والتاريخُ يَذْكُرُها ... فيها الجِّهادُ لهُ في ساحِها نُصُبُ
تِلكَ الحَواضِرِ يا ربّاهُ ما فَتِئَتْ ... يَؤمُّها العِلمُ والتاريخُ والأدَبُ
فَمَا لها اليَومَ أجْساداً مُمَدّدَةً ... هل مَلّها الفخْرُ أم قد نَالَها التَّعَبُ ؟
مَا لي أرَاكُمُ يا أبْناءَ جِلْدَتِنا ... قوما حفاةً من الأمْجاد قد هَرَبوا ؟
في غزةِ اليَومَ مأساةٌ قَوائمُها ... القَتْلُ والحَرْقُ والتّهْجِيرُ والسَّغَبُ
فهل رأيتُم ، أمِ العَيْنانِ وا أسَفِي ... قد غَرّها اللّهْوُ والأفلامُ والطَرَبُ ؟
يا جُلّقَ الشّامِ ذا قَسْيونُ يَذْرُفُها ... دُموعَ حُزْنٍ وفي أحْشائِهِ غَضَبُ
يَرنُو إليكِ عَسى صَوتٌ يَؤانُسُهُ ... أو هَمْسَةٌ من ذُرَى الجّولانِ تَقْتَرِبُ
يا حِمْصَ ، غَزّةُ من آلامِها صَرَخَتْ ... يا ذُرّةَ الأمْسِ يا شَهْبَاءَ يا حَلَبُ
يا ويْحَ قَلبي فَذِي الظّلْمَاءُ تَخْنُقُكُم ... والنّورُ من سَاحِكُم غَمًّا سَيَنْسَحِبُ
يا أردنَ الخيرِ هَل للْخَيرِ من أثَرٍ ... أيْنَ الهَواشِمُ أيْن السّادَةُ النُّجُبُ ؟
في غزّةِ المَوتُ للأطفالِ يَحْصدُهُم ... وفي سَمَائكِ رمْزُ القَتْلِ ينْتَصِبُ
أوّاهُ يا قدسَ ذي عَمّانُ صامِتةٌ ... تَرنُو إليكِ وأنتِ الجّارةُ الجُنُبُ
(فَبِنْ غَفيرٍ) أتَى الأقْصَى يُدَنّسُهُ ... فتَصْرخُ السّاحُ والأبوابُ والقُبَبُ 1
فَياتِيَ الردُّ مِنّا مِثلَ صاعِقَةٍ ... بِها البَيانُ قَويُّ السّبْكِ ، والخُطَبُ
واحَسْرتاااااهُ فَذا قلبي تُمَزّقُهُ ... تلكَ الفَظائِعُ والآلامُ والكُرَبُ
فلْتَعْذُروني إذا ما صُغْتُ قافِيَتي ... من جُرْحِ قَلبي وهلْ في ذلِك عَجَبُ ؟

1 – إيتار بن غفير ، وزير الأمن القومي الصهيوني ، ومن عتاة المتطرفين في حكومة العدو المطالبين بضرورة إبادة الفلسطينيين ،،!!

كتاب أدب مجالسة المشايخ وحفظ حرماتهم [1]

تأليف الشيخ أبي عبد الرحمان السلمي رحمه الله (ت 412هـ/ 1021م)

تقديم وتحقيق الأستاذ عبد الهادي الهنركامب وأرش همذاني

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ أوّلاً وآخراً. وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ المصطفى وعلى آله وسلّمَ كثيراً.[2]

1 اعلَمْ – وفَّقَك اللهُ لمتابعةِ الحقِّ – أَنّ اللهَ – تعالى ذكرُه – أمَرَ الأصاغرَ باتِّباعِ الأكابرِ والتّأدّبِ بآدابِهم بقولِه تعالى ﴿**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾ [لقمان: 15] – أيْ مَن رجَعَ إليَّ مِن جميعِ مُراداتِه وتأدَّبَ بالآدابِ الّتي خاطبتُه بها. [74/ أ] وقال النبيُّ – صلّى الله عليه وسلّم: «**ليس منّا مَن لم يرحَمْ صغيرَنا ولم يوقِّرْ كبيرَنا.**»[3]

(1) ط: كتاب أدب صحبة المشايخ تأليف الشيخ أبي عبد الرحمن محمد السلمي رحمه الله. قال الشيخ الإمام الفاضل أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى السلمي – رحمه الله – في أدب صحبة المشايخ.

(2) ط: وصلّى الله على نبينا محمد وآله أجمعين.

(3) ط: ليس منا من لم يرحم الصغير ولم يوقر الكبير. أخرجه الترمذي بهذا اللفظ عن أنس في **السنن** (كتاب البرّ، باب ماجاء في رحمة الصبيان)، وأحمد في مسنده. رواه السلمي في **جوامع آداب الصوفية**، تحقيقَ كولبرغ، في **مجموعه آثار أبو عبد الرحمن السلمي**، إعداد نصر الله بورجوادي (تهران: مركز نشر دانشكاهي، 1369)، ج 1، ص 351، ورواه السلمي أيضا في **كتاب آداب الصحبة**، تحقيق م . ي . قسطر، في **مجموعه آثار**، ج 2، ص 115. وذكره العجلوني في **كشف الخفاء ومزيل الإلباس**، بيروت، 1/ 1988، 1/ 220.

ورحمةُ الصغيرِ في حملِه على التأديبِ. والحرمةُ وتوقيرُ الكبيرِ[1] ومُعاشرتُه والقيامُ بخدمتِه بحسنِ الأدبِ. وقال النبيُّ – صلّى الله عليه وسلّم: «**ما أكرَمَ شابٌّ شيخاً لِسِنِّه إلّا قَيَّضَ اللهُ له**[2] **عند سِنِّه مَن يُكرِمُه.**»[3]

2 والّذي خُصَّ به المتصوِّفةُ في أحوالِهم وآدابِهم وأخلاقِهم هو الخلوُّ عن الأسبابِ والتجرّدُ منها والتفرّدُ بالحقِّ والاتِّصالُ به بالانقطاعِ عمّا سِواه واستعمالُ الخُلقِ مع الخليقةِ وملازمةُ آدابِ الشريعةِ ولزومُ حُرُماتِ المشايخِ وحفظُ أوقاتِ الإخوانِ وتركُ انتقامِ النفسِ والرجوعُ في كلِّ وقتٍ وحالٍ إلى ما يُوجِبُه عليه ظاهرُ العلمِ.

3 ولـمّا رأيتُ المُترسِّمينَ بالتصوّفِ في وقتِنا هذا[4] قَنِعوا بالتَزَيُّنِ بلِبْستِهم واتَّبعوا رُخَصَهم وتَرَكوا آدابَهم وضيَّعوا مَواجِبَ[5] الطريقةِ السَديدةِ وتَهاوَنوا بحُرُماتِ مشايخِهم وأكابرِهم واستَتبَعوا مَن لا خطرَ لهم مِن العوامِّ وتَرَكوا مطالبةَ أنفسِهم بحقائقِ الأحوالِ والتأدُّب بمشايخِهم في الأخلاقِ والأفعالِ، أحبَبتُ أن أجمعَ فصولاً أذكُرُ فيها حُرُماتِ المشايخِ لِيَعلَمَ المُقصِّرُ في حُقوقِهم تقصيرَه، ويشكُرَ الموفَّقُ لذلك ما وَفَّقَه اللهُ له. فإنّ اللهَ – تعالى ذكره – خاطَبَ أصحابَ النبيِّ – صلّى الله عليه وسلّم[6] – وأمَرَهم بتعظيمِه وحفظِ حُرُماتِه، فقال تعالى[7]: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾ [الحجرات: 2]. والأولياءُ في الأرضِ هم خلفاءُ الرُسُلِ والأنبياءِ – عليهم السلام. فمَن تَرَكَ حُرماتِهم حُرِمَ متابعةَ حُرمةِ الرُسُلِ – صلوات الله عليهم.[8] فإذا استصلحَ اللهُ تعالى عبداً لخدمتِه، رزَقَه حفظَ حُرُماتِ النبيِّ – صلّى الله عليه وسلّم؛ ولَن يصِلَ إلى حفظِ حرمتِه إلّا بحفظِ حرمةِ خُلَفائِه مِن أولياءِ الأُمّةِ [74/ ب] والعلماءِ الربّانيّينَ والتأدُّبِ بآدابِهم والتَخَلُّقِ بأخلاقِهم؛ فتَلحَقَه بَرَكاتُ نَظَرِهم وشَفَقَتِهم؛ فيَرتَقي بذلك إلى معرفةِ

(1) ر، ب: + و.
(2) ط: – له.
(3) أخرجه الترمذي من حديث أنس بن مالك في **السنن**، كتاب البرّ، بلفظ: «ما أكرم شابّ شيخا ألا قيّض الله له من يكرمه عند سنّه.»
(4) ر: – هذا.
(5) ب: واجب.
(6) ط: صلّى الله ورضي عنهم.
(7) ط: عزّ وجلّ.
(8) ب: + أجمعين.

حُرُماتِ النبيِّ – صلّى الله عليه وسلّم؛ ثُـمّ يَصِلُ[1] بذلك إلى حُسنِ الرِعايةِ لأوقاتِه في القيامِ بخدمةِ سيّدِه.

4 فقد قال الفُضَيل بن عياض:[2] «إنّ مِن علامةِ أشراطِ الساعةِ أن يرفَعَ مِن قُلُوبِ الأصاغِرِ حُرمةُ الأكابِرِ[3] فلا يتّبِعونَـهم ولا يَستَـنُّونَ بسُنّـتِـهم.» وقال سَريٌّ السَقَطيُّ[4] – رحمه الله: «إذا وَقَـرَ الإيمانُ في قلبِ عبدٍ أورَثَه ذلك[5] حُرمةَ الأولياءِ.» وقال أبو العبّاسِ بن عطاء[6]: «العبدُ مأخوذٌ بالحالَينِ: بتعظيمِ حقوقِ اللهِ والقيامِ بخدمةِ أولياءِ اللهِ. فـمَن سَقَطَ عن قلبِه حُرُماتُ الأولياءِ صَغُرَ في عينِه تعظيمُ حقوقِ اللهِ – عزّ وجلّ.» وقال الـجُنَيدُ[7] – رحمه الله: «مَن أحبَّ أن يُكـرَمَ في اللهِ ولا يُكرِمُ عبادَه فيه، فهو مِن علاماتِ[8] النفاقِ.» وقال أبو عبدِ اللهِ بنِ الـجَلاّءِ[9]: «ليس شيءٌ ألزمَ على العبدِ، بعدَ معرفةِ اللهِ والقيامِ بأوامرِه، مِن معرفةِ حقوقِ مَن عَرَّفَه الطريقَ إلى معرفةِ اللهِ – وهُم أولياءُ اللهِ أصفياؤُه.» وقال إبراهيمُ الخوّاصُ[10]: «لا يَـجِدُ العبدُ[11]

---

(1) ط: اتصل.

(2) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التـميـمي ثـمّ اليربوعي (ت. 187 هـ). هو أوّل من ترجم له السلمي في كتاب **طبقات الصوفية**. انظر: أبو عبد الرحمن السلمي، **طبقات الصوفية**، تحقيق نور الدين شريبة (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1969)، 6 – 14.

(3) ب: – حرمة الأكابر.

(4) هو أبو الحسن سريّ بن المغلّس السقطيّ (ت. 251 هـ)، يقال إنه خال الجنيد وأستاذُه. وصـحب معروفاً الكرخي. وهو أوّل من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال. وهو إمام البغداديين وشيخهم في وقته. انظر: **طبقات الصوفية**، 48 – 55.

(5) ب: – ذلك.

(6) هو أبو العبّاس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدَمي (ت. 359 هـ). صـحب إبراهيم المارستاني والجنيد بن محمد ومن فوقهما من المشايخ. وكان أبو سعيد الخراز يعظّم شأنه. انظر: **طبقات الصوفية**، 260 – 272.

(7) هو أبو القاسم الجنيد بن محمّد (ت. 297 هـ). وهو من أئمة القوم وسادتهم، مقبول على جميع الألسنة، مشهور بشيخ الطائفة. انظر: **طبقات الصوفية**، 155 – 123.

(8) ط: علامة.

(9) هو أبو عبد الله أحمد بن يحيى (ت. 306 هـ)، وكان أصله من بغداد. أقام بالرملة ودمشق، وكان من جلّة مشايخ الشام. صـحب أباه، يحيى الجلّاء، وأبا تراب النخشبي وذا النون المصري وأبا عبيد البُسري. وكان أستاذ محمد بن داود الدُقّي. روى السلمي عن جدّه، إسماعيل بن نـجيد، يقول: «إنّ في الدنيا ثلاثة من أئمة الصوفية لا رابع لهم: الجنيد ببغداد، وأبو عثمان بنيسابور، وأبو عبد الله بن الجلّاء بالشام.» انظر: **طبقات الصوفية**، 176 – 179.

(10) هو أبو إسـحاق إبراهيم بن أحمد بن اسماعيل (ت. 291 هـ)، وكان من أقران الجنيد والنوري. انظر: **طبقات الصوفية**، 284 – 287.

(11) ب: – العبد.

حَلاوةَ خدمةِ[1] اللهِ إلاّ بعدَ أن يَـخدمَ[2] أولياءَه ومُحِبِّيه، فبركةُ[3] خدمتِه لهم يُذيقُه حلاوةَ خدمةِ سيّدِه.» وقال رجلٌ ليوسُفَ بنِ الحسينِ[4]: «ما لنا مِن الفائدةِ في حُرمةِ مشايـخِنا وخدمتِـهم؟» فقال: «سألتُ ذا النونِ[5] عن ذلك فقال: ‹حقٌّ لـمَن عرَفَ سيّدَك وقام بـخدمتِه أن تكونَ له خادماً. فلا تَصِلُ إلى الرُتَبِ[6] الأعلى وأنت مُضَيِّعٌ للأدنى.›» قال يوسفُ: «وقال لي ذو النونِ: ‹إنّ اللهَ تعالى أودَعَ في كلِّ وِعاءٍ مِن أَوعيةِ أوليائِه سرّاً مِن أسرارِه. فـمَن لم يُشاهِدْ ذلك السرَّ فهو لِعَمى[7] قَلْبِهِ. ومَن شاهدَه ولم يُعظِّمْه فهو لِقِلّةِ دينِه.›» وقال أبو حَفصٍ[8]: «واجبٌ على العبدِ أن يَـصحَبَ العامّةَ على شرطِ السلامةِ، والصالحينَ على حُسنِ الصُحبةِ، والحكماءَ بـحُسنِ[9] الفهمِ عنهم، والأولياءَ والأكابرَ بـحُسنِ الحرمةِ والإحترامِ لهم.» [75/أ] وقال أبو عبدِ اللهِ النِباجي[10] لبعضِ أصـحابِه: «إذا لم تَـحيَ[11] باللهِ ولم تَصحَبْ مَن حَيِـيَ باللهِ، فمتى تَـحيا؟» وقال أبو عمرو الزُجاجي[12]: «كيف تَـحيَونَ وأنـتم لم تَـرَوا حيّاً؟»[13]

(1) ط: حرمة الله؛ ب: معرفة الله .
(2) ط: يحترم.
(3) ب: ببركة.
(4) هو أبو يعقوب يو سف بن الحسين الرازي (ت. 304 هـ) شيخ الري والجبال في وقته. صـحب ذا النون المصري وأبا تراب النخشبي. ورافق أبا سعيد الـخرّاز في بعض أسفاره. انظر: **طبقات الصوفية**، 185– 191.
(5) هو أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري (ت. 248 هـ). انظر: **طبقات الصوفية**، 15 – 26.
(6) ب: الشيء؛ ط: الرب.
(7) ط: لعماء.
(8) ط: + النيسابوري. هو أبو حفص عمرو بن سلمة الحدّاد النيسابوري (ت. 270 هـ). كان من أهل قرية يقال لها كُـوْزْداباذ على باب مدينة النيسابور إذا خرجت إلي بخارى. صـحب عبيد الله مـهدي الأبيوردي، وعلياً النصراباذي. ورافق أحمد بن خضرويه البلخي. انـتـمى إليه شاه بن شـجاع الكرماني وأبو عثمان الحيري وسعيد بن إسماعيل. انظر: **طبقات الصوفية**، 115 – 122.
(9) ط: لحسن.
(10) هو أبو عبد الله سعيد بن يزيد النباجي، أحد عباد الله الصالحين. يحكى عنه حكايات وأحوالًا أحمد بن أبي الحواري الدمشقي. انظر **طبقات الصوفية**، 98– 99، 200.
(11) ر: تحيا.
(12) وهو أبو عمرو محمد بن إبراهيم بن يوسف بن محمد الزُجاجي (ت. 348 هـ)، نيسابوري الأصل. صـحب أبا عثمان والجنيد والنوري ورويما وإبراهيم الخوّاص. دخل مكّة وأقام بها وصار شيخها والمنظور إليه فيها. قال السلمي: «سـمعت جدّي – رحمه الله – يقول: ‹كنت في مكّة وكان بها الكـتّاني والنهرجوري والمرتعش وغيرهم من المشايخ. فكانوا يعقدون حلقة وصدر الحلقة لأبي عمرو، واذا تكلّموا في شيء رجع جميعهم إلى ما يقول أبو عمرو.›» انظر: **طبقات الصوفية**، 431 – 433.
(13) رواه السلمي في تفسير قوله تعالى ﴿**أَمْـوَاتٌ غَـيْرُ أَحْيَـاءٍ وَمَـا يَشْـعُرُونَ أَيَّـانَ يُبْعَثُـونَ**﴾

5 فمِن آدابِ صحبتِهم[1] والتزامِ حُرمتِهم حفظُ أسرارِهم، فلا يُفشُونَه[2]. ولا تُحكى[3] عنهم مِن الحكاياتِ إلاّ علَى حَسَبِ ما تَقبَلُه قلوبُ المستمِعينَ، لِئلاّ يَقَعَ لهم عليه إنكارٌ مِن غيرِ علمٍ فيَهلِكوا[4]. ومِن ذلك تَركُ صحبةِ مَن يُخالِفُهم في طريقتِهم واعتقادِهم[5].

6 ومِن ذلك أن يَصِحَّ إرادتُه في مجالستِهم، ثمّ يُجالسهم على حدِّ الأدبِ، ثُمّ لا يُنكِر عليهم ما عَرَفَ مِن أحوالِهم وما لم[6] يَعرِفْه وكذلك أقوالُهم وأفعالُهم[7] وحركاتُهم؛ ويعلم أنّ[8] بإنكارِ واحدٍ يُنكِرُ عليهم يبطُلُ به سَعيه؛ ويعلم أنّ قبولَهم[9] له نجاتُه وإعراضَهم عنه هَلاكُه؛ فيُطالِع في مجالستِهم مطالعةَ الحقِّ إيّاه وفضلَه عليه أن[10] أجلَسَه مع أهلِ صفوتِه وأوليائِه، فيَشكُره على ذلك ويُلزِم قلبَه حُرمةَ مَن جالسَه – فمَن سَقَطَ عن قلبِه حرمةُ المشايخِ والأكابرِ فقد هَلَكَ في الحقيقةِ وإن كانَ في ظاهرِ أمرِه مقبولاً؛ ويعلَم أنّهم عُيونُ اللهِ في خلقِه: أشهدَهم الحقُّ مِن عبادِه مكنونَ سرائرِهم فيحكمونَ[11] فيها وعليها، فيكون قبولُه لأوامرِهم على حَسَبِ هذا الاعتقادِ واحترامُه[12] لهم كذلك؛ ويعلَم أنّه لا يَسقُطُ عن قلبِ أحدٍ حرمةُ المشايخِ إلّا بتهاونِه حُرُماتِ الرسولِ – صلّى الله عليه وسلّم – ويُورِثُه ذلك التهاونَ بحُرُماتِ[13] اللهِ[14]. وعلامةُ عقوبةِ هذه المَنزلةِ إسقاطُ حُرمةِ الأولياءِ مِن قلبِه، لأنّ النبيَّ – صلّى الله عليه وسلّم – يقولُ حاكياً عن ربّه – جلَّ جلالُه: «مَن أهانَ لي

[النحل: 21] عن أبي عثمان المغربي عن أبي عمرو الزجاجي. انظر: أبو عبد الرحمان محمد بن الحسين السلمي، **حقائق التفسير**، تحقيق سيد عمران (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001)، ج 1، ص 364.

(1) ط: ومن آدابهم.
(2) ر: تفشونه.
(3) ب: وأن لا تحكى عنهم.
(4) ب: فيهلك؛ ط: فيهلكون.
(5) ب: – واعتقادهم.
(6) ب: لا.
(7) ط: أفعالهم وأقوالهم.
(8) ط: أنه.
(9) ر: قبوله.
(10) ط: إذ.
(11) ر، ط: محكمون.
(12) ر: احترامهم.
(13) ط: بحرمة.
(14) ب: + جلّ جلاله؛ ط: + تعالى.

وليّاً فقد بارَزَني بالـمُحارَبةِ»[1] لأنّ مَن تـهاونَ بـحُرُمات الأولياءِ تـهاونَ بـحُرُماتِ الرسولِ – صلّى الله عليه وسلّم– ومَن تـهاونَ بـحرمةِ الرسولِ – صلّى الله عليه وسلّم – تـهاونَ بـحرماتِ اللهِ – عزّ وجلّ ذكـرُه – وأوامرِه ويكونُ مِن الهالكينَ. وأصلُ هذا كلُّه رؤيةُ [75/ ب] النفْسِ وتعظيـمُها وحُبُّ التَصَدُّرِ والقبولِ بينَ[2] الناسِ، فيُريدُ أن يبلغَ [3] بنفسِه[4] إلى حالٍ[5] هو[6] عنـها خالٍ.

7 ومَن لم يـجعَلِ الطريقَ إلى حُرمةِ الرسولِ – صلّى الله عليه وسلّم – حُرمةَ السَلَفِ والأكابرِ، لم يصِلْ إلى حفظِ حرمتِه. ومَن لم يـجعَلْ طريقَ الوصولِ إلى الحقِّ متابعةَ النبيِّ – صلّى الله عليه وسلّم – وحُرمتَه، سقَطَ عن درجةِ الوصولِ إلى الحقِّ وحُرِمَ بركةَ متابعةِ الرسولِ[7] – صلّى الله عليه والسلّم – وعاشَ ذَليلًا مـحروماً.

8 وإنّمَا يَـتَوَلَّـدُ التَـهاوُنُ بـحرماتِ المشايخِ مِنَ التَـهاوُنِ بـحرماتِ الإخوانِ والأصـحابِ. فـمتى يَصِلُ العبدُ إلى الـمَحلِّ الأعلى وهو مُضيِّعٌ للأدنى؟ فـمَن تَـهاوَنَ بأخٍ مِن إخوانِه فقد أظهرَ كِبرَه ونَـذالتَه وتَعاظُمَه في نفسِه وتصغيرَ ما[8] عظَّمَ اللهُ تعالى حقَّه عليه. ومِن شَقاوةِ العبدِ تعاظُمُه في نفسِه وتصغيرِ مَـحلِّ إخوانِه عنده. والنبيُّ – صلّى الله عليه وسلّم – يقول: «لا يَدخُلُ الجنّةَ مَن كان[9] في قلبِه مِثقالُ حَبّةِ خَردَلٍ مِن كِبرٍ.»[10] ومَن قَنَـعَ بقَبولِ الأنذالِ له واستِتباعِ العوامِّ، أَطلقَ اللهُ لسانَه

(1) أورده السلمي في **آداب الصحبة وحسن المعاشرة** بهذا اللفظ (**مجموعه آثار**، 2/ 120). ورواه غيره تارة كهذا وتارة ضـمن صور مطولة من حديث النوافل المشهور الّذي ابتدأ عند البخاري بلفظ «إن الله قال: ‹من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ...›» (باب ما جاء في الرقائق، باب التواضع) وألّف الشوكاني كتابا مستقلا فيه بعنوان **قطر الولي على حديث الولي**، حقّقه إبراهيم إبراهيم هلال (القاهرة: مطبعة حسّان، 1979.) روي كما ورد في النصّ تارة عن عايشة وتارة عن أبي أمامة الباهلي وتارة عن أنس بن مالك – رضي الله عنهم.

(2) ب: من.

(3) ر: يُبـَلّع.

(4) ب: نفسه.

(5) ط: خلال.

(6) ب: وهو.

(7) ط: + الله.

(8) ط: من.

(9) ب: – كان.

(10) ط: مثقال ذرة من كبر. رواه مسلم عن ابن مسعود في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، والترمذي في كتاب البر، وأبو داود في كتاب الأدب، وغيرهم. راجع **كشف الخفاء ومزيل الإلباس** للعجلوني، 2/ 502.

بالوَقيعةِ في إخوانِه ومشايـخِه ونَزَعَ[1] ماءَ الحياءِ مِن عينَيه وفَرِحَ مِن وقتِه بغيرِ مفروحٍ به كما قال اللهُ تعالى لقارونَ: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ﴾ [سورة القصص: 76]؛ لأنّ بقدرِ إقبالِ اللهِ تعالى على العبدِ يُـوَفِّـقُه للإقبالَ على أوليائِه، ويرزُقُه خدمتَـهم وحرمتَـهم. ويعلم أنّه لا يبلُغُ إلى حدّ الـمقبولينَ إلّا بعدَ أنْ يكونَ قابلاً. فإذا قَبِلَ ما يُشيرُ به عليه[2] المشايخُ يَصيرُ مقبولًا عندَ الخلقِ، فيَـقبَـلونَ منه ويَسعَدونَ بالقَبولِ منه كما سَعِدَ هو بالقَبولِ من مشايـخِه، وألقى اللهُ تعالى عليه آثارَ[3] هيبتِه وأنوارَ محبّتِه، فأحبَّه الأبرارُ وهابَه الأشرارُ، وعظّموا حُرمتَه وتَـبَـرَّكوا[4] بخدمتِه واستَـقاموا بصُحبتِه. وهو ما قال النبيُّ – صلّى الله عليه وسلّم: «إذا أحَبَّ اللهُ عبداً[5] نادى جبريلُ – عليه السلام[6]: [76/ أ] ‹إنّ اللهَ تعالى أحَبَّ فلاناً فأحِبّوه› ثُـمّ يُوضَعُ له القبولُ في الأرضِ.»[7] وليس القبولُ ما تَـقَـبَّلَه[8] العوامُّ والـمُعاشرونَ، وأنّما القبولُ هو الذي تَـقَـبَّلَه[9] الخواصُّ مِن العبادِ.

9 وإذا[10] تَـحقَّقَ العبدُ في حُرمةِ إخوانِه وأصحابِه وخدمتِـهم، وَرَّثَه ذلك وبركاتُه حُرمةَ الصالحينَ وخدمتَـهم وصُـحبتَـهم وميلَ قلوبـهم إليه. وإذا تَـحقَّقَ في خدمةِ الصالحينَ، وَرَّثَه ذلك وبركاتُه حُرمةَ[11] الأولياءِ وخدَمتَـهم والقبولَ منهم. وإذا تَـحقَّقَ في ذلك، وَرَّثَه ذلك وبركاتُه اتّباعَ سُنَنِ الـمصطفى – عليه سلام[12] – ظاهراً وباطناً. فإذا اتَّبَعَ السُنَنَ، وَرَّثَه ذلك الإخلاصَ في خدمةِ سيّدِه فيصير مُخلِصاً في خدمتِه. وإذا أخلَصَ في خدمةِ سيّدِه، أخدَمَه اللهُ تعالى الأحرارَ مِنَ الخلقِ فيصيرُ

(1) ط: فنزع.
(2) ر: إليه؛ ب: – عليه.
(3) ب: أنوار.
(4) ب: وتزكوا.
(5) ب، ط : إن الله إذا أحب عبدا.
(6) ب: – عليه السلام.
(7) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، وأيضا في كتاب الأدب، باب من الله تعالى، ولفظ الأخير: «إذا أَحَبَّ اللهُ عبداً نادى جبريلَ: ‹إنّ اللهَ يُـحبُّ فلاناً فأحِبَّه.› فيُحبّه جبريلُ. فيُنادي جبريلُ في أهل السماءِ: ‹إنّ الله تعالى أحبّ فلاناً فأحِبَّه.› فيُحبّه أهلُ السماء. ثُـمّ يُوضَعُ له القبولُ في أهلِ الأرضِ.»
(8) ب: يقبله.
(9) ب: يقبله.
(10) ط: فإذا.
(11) ط، ب: صحبة.
(12) ط، ب: صلّى الله عليه وسلّم.

مَخدوماً مِن جِـهةِ المريدينَ والصادقينَ. كذلك[1] رُويَ عن النبيِّ – صلّى الله عليه وسلّم – أنّه قال: «سيّدُ القومِ خادمُهم.»[2] وذلك أنّه لـمّا قامَ بخدمةِ وَفدِ الحبشةِ، قالَ له أصـحابُه: «نحن نَكفيك يا رسولَ اللهِ ذلك.» فقال النبيُّ – صلّى الله عليه وسلّم: «إنّهم كانوا لأصـحابي مُكرِمينَ، فأنا أحبُّ أنْ أُكافيَـهم.»[3] ثُـمّ قال بعدَ ذلك: «سيّدُ القومِ خادمُـهم.» كنّى بذلك عن نفسِه[4] – صلّى الله عليه وسلّم – وإن كانَ[5] أطلَقَ القولَ فيه ليُـرَغِّبَ بذلك أصـحابَه في خدمةِ الإخوانِ والأصـحابِ والوُفودِ. ويعلم يقيناً أنّه لا يَـخطرُ بقلبِ عبدٍ حَقارةٌ لأخيه الـمُسلِمِ إلّا أظلَمَ اللهُ عليه قلبَه وشَتَّتَ[6] عليه هَـمَّه وأساءَتِ الـجوارحُ الظاهرةُ الأدبَ لشُؤْمِ ذلك الـخاطرِ. ومَن رُزِقَ خدمةَ المشايـخِ وحِفظَ حرماتِـهم، ورَّثَه ذلك ثلاثةَ أشياءَ: كَراهيةَ البقاءِ في الدنيا، وبُغـضَ الإكثارِ منها والغِنى فيها، ويُسقَطُ[7] اهتـمـامُ الغدِ مِن قلبِه.

البقية في العدد القادم

(1) ب: لذلك.

(2) ذكره السيوطي في **الحاوي للفتاوي الحديثية**، كتاب الأدب والرقائق. رواه السلمي في **كتاب آداب الصحبة** عن يحيى بن أكثم (**مجموعه آثار** 2/ 97). وفي **كشف الخفاء** ذكره العجلوني بسند السلمي فقال إن في سنده ضعف وانقطاع، ثـمّ بيّن طرق الحديث الأخرى إلى أن قال: «قد يقال إنه حسن لغيره لتعدد طرقه.» (1/ 562). وأيضاً أخرجه أبو نعيم في **كتاب الأربعين** من حديث أنس بن مالك حيث يليه «وساقيهم آخرهم شرباً.» (أبو نعيم الأصفهاني، **كتاب الأربعين على مذهب المتحقّقين من الصوفية**، تـحقيق بدر بن عبد الله البدر، بيروت: دار ابن حزم، 1993، ص 59.)

(3) هذا من حديث أبي قتادة. انظر: أبو عبد الرحمن السلمي، **كتاب الأربعين في التصوف** (حيدراباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1981)، 11–12؛ أحمد بن الحسين البيهقي، **الجامع لشعب الإيمان**، تحقيق مختار أحمد الندوي (الرياض: مكتبة الرشد، 2003)، ج 11، ص 381؛ أبو نعيم الأصفهاني، **كتاب الأربعين**، 58. فلا يلي الحديثَ «سيّدُ القومِ خادمُـهم» في هذه الروايات.

(4) ط: عنى بذلك نفسه.

(5) ط : – كان.

(6) ط: يشتت.

(7) ب: ينسقط.

السياحة الدينية في تونس

بقلم الأستاذ محمد إلياس المحرزي

يعتبر القطاع السياحي أحد أهمّ ركائز الاقتصاد التونسي حيث يساهم في توظيف قرابة 100000 شخص بصفة مباشرة ونصف المليون تونسي بصفة غير مباشرة وحيث بلغتعائدات السياحة 9 ٪ من الناتج المحلي الإجمالي في فترة من الفترات، مع تجاوز الإيرادات 6.7 مليار دينار.

هذا وإنّ تونس بوصفها وجهة سياحية لا تركز فقط على السياحة الشاطئية وإنما تُولي عناية هامّة بالسياحة الصحراوية والجبلية والعلاجية الاستشفائية والثقافية والتاريخية غير أنّ رافدا آخر هو جدير بأن يحظى بمزيد الاهتمام وهو السياحة الدينية لكونها تُعدّ من أهم أشكال السياحة التي تجذب الزوّار من جميع أنحاء العالم إلى المواقع الدينية المقدسة لما للدّين عموما من تأثير على حياة الشعوب.

ومن أهم وجهات السياحة الدينية في العالم مكة المكرمة والمدينة المنوّرة والقدس الشّريف ودولة الفاتيكان، وتونس ولا غرابة في ذلك لكونها الوجهة السياحية الدينية الأولى للطائفة اليهودية حيث يأتي الينا سنويا قرابة 6000 زائر لحضور موسم الغريبة السنوي بجزيرة جربة.

ولكن ماذا عن السياحة الدينية للمسلمين بتونس لا سيّما وأنّ بلادنا تحتوي على كعبة الشمال الإفريقي وأقدم جامعة في العالم والحديث هنا عن جامع الزيتونة المعمور وجامعته والفضاءات التاريخية التابعة له على غرار ميضأة السلطان (مغلقة) والخلدونية والمدرسة الشماعية والسليمانية والباشية ومدرسة بئر الحجار وسائر مدارس تونس المدينة وزواياها ومساجدها وجوامعها الحنفية والمالكية من مختلف

الحقبات التاريخية بخاصة الحفصيّة والعثمانية التي تعبّر عن زخم تاريخي وحضاري لا يدلّ إلا على إشعاع ديني منقطع النّظير.

ولا يفوتني أن أعرّج على رابعة الثلاث أي مدينة القيروان رابع المدن المقدّسة عند المسلمين بعد مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة والقدس الشّريف اعتبارا لدورها البارز في نشر الإسلام في كامل قارة إفريقيا والأندلس، ولا أبالغ إن قلت أنّ مدينة القيروان بمفردها تمثّل مشروعا متكاملا للسياحة الدينية يجعلها القبلة الرابعة للسيّاح المسلمين، إذ بها أوّل مسجد جامع بإفريقية وهو جامع عقبة بن نافع الذي يمتاز بقبلة الإجماع ويحتوي على أقدم صومعة ومنبر لا يزالان موجودين إلى اليوم، زيادة على المساجد والجوامع القديمة ومقام الصحابي الجليل سيدي ابي زمعة البلوي فمقامات العلماء والفقهاء والمفتين والأدباء والأولياء والزهّاد كالإمام سحنون، وابن أبي زيد القيرواني.

ولا ننسى المعالم الدينية الأخرى بالبلاد التونسية كالجامع الكبير بصفاقس والجامع الكبير بسوسة وجامع رباط المنستير والجامع الفاطمي بالمهدية، وجامع تستور الفريد بصومعته وساعته وخصائصه المعمارية الاندلسية، والجامع الكبير بباجة وجامع الرقود السبعة شنني تطاوين.

فضلا عن زخم البلاد التونسية بالمقامات والزوايا اللتين لا تخلو منهما مدينة أو قرية لعل ابرزها مقام الصحابيين الجليلين سيدي أبو لبابة الانصاري بقابس وسيدي أبو زمعة البلوي بالقيروان رضي الله عنهما؛ وكذا مقام سيدنا معبد ابن العباس ابن عم النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم بباجة، وهذا المقام يشتكي إهمالا كبيرا بالرغم من كونه يقبع وسط المدينة وفي حديقة عمومية، فكان الأصل أن تكون جنة وافرة الأشجار يانعة الأزهار؛ ونفس الإهمال نجده في محيط زاوية الولي الصالح حفيد خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه سيدي محرز ابن خلف رضي الله عنه ، وهو الملقب بسلطان المدينة مقصد العباد والنساك من كافة الأرجاء كيف لا وقد وصفه الإمام الباقلاني الملقّب بسيف السنّة ولسان الأمّة قائلا: «لو أدرك محرز السلف لكان خامس الأربعة» ؛ إهمال وتشويه للمَعلم ومسّ من طابعه الأثري التاريخي فضلا عن الخطر المحدق على سلامة الزائرين كانتشار المتسكعين وفاقدي المأوى.

ونفس الاستهتار نجده في مقام الإمام سحنون بالقيروان وهو من هو: الفقيه الحافظ العابد والورع الزاهد، والعالم الجليل المتفق على فضله وإمامته، صاحب

المدوّنة وهو أهمّ مرجع فقهي في المذهب المالكي إذ عليها الاعتماد في المذهب، فكان من الواجب أن يكون المقام مفتوحا للزوّار وأن يحظى بعناية بالغة شكلا ومضمونا ومقام الامام سيدي علي ابن زياد رضي الله عنه تلميذ امام دار الهجرة الامام مالك وصاحب رواية للموطأ اندثرت للأسف الشديد ولم يبق منها سوى جزء يسير هو باب الذكاة والذي يرجى أن تضاف إلى زاويته مكتبة مخصصة لموطأ الامام مالك بمختلف رواياته وشروحه وكل ما كتب في خصوصيته.

ومقامات أخرى كان الأجدر أن تحظى بمزيد العناية على غرار مقام سيدي علي الحطاب الذي أصبح موسم زيارته مهرجانا للفروسية والأنشطة الثقافية والعروض الفلكلورية؛ والمقام والمغارة الشاذلية التي بالرغم من تفاني القائمين عليهما في خدمة المريدين والضيوف والمحافظة على النظافة والتراتيب الجاري العمل بها تاريخيّا تظل مفتقرة لبعض المرافق الصحية والمواضئ في قيمة المكان وعراقته ورمزيته.

إن السياحة الدينية في تونس يمكن أن تكون رافدا مهمّا لجلب عدد كبير من السياح العرب والمسلمين من خارج أرض الوطن نظرا لقيمة المعالم الدينية عموما والأعلام الذين مروا بهذا البلد الأمين ؛ فكم من الإخوة العرب والمسلمين من يرغب في زيارة روضة الأسرة العاشورية، والأسرة النيفرية، وآل جعيط، وابن محمود، والبيارمة، وآل بلخوجة، والزاوية البكرية، ومقام سيدي إبراهيم الرياحي، والإمام ابن عرفة، والبرزلي والأبّي، والرصّاع، وصاحبي الإمام مالك سيدي عبسة بالمحرص وسيدي علي ابن ابي زياد بالمدينة ؛ وجبل المنار حيث سيدي أبي سعيد الباجي وزاوية سيدي عبد العزيز المهدوي أستاذ الشيخ الأكبر سيدي محي الدين ابن عربي وكذا الإمام سحنون وابن أبي زيد القيرواني، وأبو الحسن القابسي، والبهلول ابن راشد، وأبو القاسم السيوري، وآل عظوم بالقيروان؛

وزغوان حيث سيدي علي عزوز؛ والإمام المازري بالمنستير، والإمام اللخمي بصفاقس، وابن منظور بقفصة والسادة الاعلام بالجريد سيدي أبو علي النفطي السني وسيدي مصطفى بن عزوز.

فضلا عن قلاع السادة الإباضية بجزيرة جربة الساحرة حيث المساجد والمجالس الإباضية ذات الخصوصية المميزة، وهي إحدى أهم مراكز المذهب الإباضي في العالم الذي يلتزم به إخوتنا في سلطنة عمان الشقيقة.

فلاحظ معي أيّها القارئ الكريم، كيف تزخر بلادنا بتراث ديني متنوع يندُر وجوده في دول عربية وإسلامية أخرى، وقد تجلّى هذا الثراء على المعالم الدينية كالجوامع والمساجد والزوايا والمقامات ما يجعل بلادنا في المراتب الأولى عالميا اعتبارا للتراث الديني المادّي فكيف يقع إهمالها وعدم العناية بها بما يزيد في اعتزازنا بانتمائنا لهذا الوطن العزيز؟

وإنّ اهتمام دول عربية وإسلامية بمساجدها وجوامعها ومزاراتها جعلها قبلة السيّاح من كل حدب وصوب على غرار تركيا وسوريا والعراق ومصر والمغرب الأقصى وإيران. وهذه معالمنا ومساجدنا التونسية لا تقل أهمية تاريخية ولا تميزا معماريا عن أخواتها في هذه البلدان وعليه ؛ وبعد هذا العرض أوجّه دعوة إلى المشتغلين بالسياحة وخاصة وكالات الأسفار أن تولي هذا المجال مزيدا من الاهتمام بالعمل على استقطاب السائحين من الدول العربية والإسلامية خاصة دول شرق آسيا وفتح أبواب التعامل مع أسواق جديدة وفئات ونوعيات أخرى من السائحين ؛ ما شأنه أن ينشط الدورة الاقتصادية ويسهم في إدخال العملة الصعبة من جهة والتعريف بتراثنا وتاريخنا الديني والثقافي من جهة أخرى من حيث المعالم والأعلام.

عرض كتاب فهرست الشيخ علي النوري الصفاقسي التونسي (توفي 1118هـ)

اصدار مدرسة عمر ابن الخطاب لتعليم القران وترتيله بسكرة
لمؤسسها الشيخ حسن الورغي رحمه الله
اشراف واثراء الشيخ الأستاذ محمد بن علي مشفر
ومراجعة الشيخ الأستاذ الحبيب بن حسين بالحاج
عرض الأستاذ حامد بن علي بن محمد بوراوي

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد، فقد تكفّلَ الله سبحانه وتعالى بحفظِ كتابِه، ونُصرةِ دينِه، والدِّفاعِ عن رسوله صلّى الله عليه وسلّم ومَدَحَهُ بنفسِه ورفعَ ذِكْرهُ وعظّم أَجْرَه. كما ضَمنَ نبيُّنا صلى الله عليه وسلم بقاء شريعته وإن ضيّع بعضها قوم، بقوله وهو الصادق الأمين: [لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ](1).

وقيّض الله تعالى في تونس منذ الحقبة الاستعمارية رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وجاهدوا في الله حق جهاده، فبلّغوا الأمانة العلمية خاصة بعد إغلاق أقدم جامعة إسلامية بل أقدم جامعة في العالم بأسره: جامع الزيتونة المعمور. وواصلوا تعليم القرآن الكريم وعلومه والحديث الشريف وفنونه والفقه المالكي والحنفي وغير ذلك، كل فيما يسّره الله له، وذلك رغم ما لاقوه من تضييق. وكثر طلبتهم الذين يعتبرون قلّة قليلة مقارنة بما كان عليه الأمر قبل تعطيل التعليم الزيتوني، وكتب الله

(1) : أشار إلى ذلك ابن بطال في شرح صحيح البخارى.

على أيديهم تواصل نقل العلوم المذكورة والتربية الروحية السليمة كما أخذوها من مشايخهم المذكورين بأسانيدهم المتصلة بأفضل الخلق صلى الله عليه وسلم، وتجلّى قول ربّنا عزّ وجلّ في سورة يوسف عليه السلام (بالآية 21):

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. صدق الله العظيم.

وأمام خطر حملات التشكيك في محافظة التونسيين على أسانيد العلوم الشرعية بسبب إغلاق الجامع الأعظم، وهي حملات ممنهجة في خضم الحرب المتواصلة على الهُوِيّة التونسية، تحركت الهِمَمُ وقَوِيَت العزائم من أهل الاختصاص، فكثرت التآليف والأبحاث بالمدارس والجامعاتِ، وصدعت أصوات المشايخ بالحقّ بالأدلة الدامغة في المحافل الوطنية والعالمية.

وفي هذا الإطار، تمكنت مدرسة عمر بن الخطاب بتوفيق الله سبحانه وتعالى سنة 1438 هـ (2017 م) من إصدار كتاب «الدرر التونسية من الأسانيد القرآنية»، وهو بحث اعتنى خاصة بالأسانيد القرآنية التونسية، بيّن بالحجج والبراهين بفضل الله تعالى أن اتصال سندنا في قراءة القرآن الكريم (وما تعلق به من علوم كالتجويد والقراءات والرسم وغيره) بالنبيّ صلى الله عليه وسلم متواصل ولم ينقطع إلى اليوم، وغاية ما في الأمر أن أغلب المشايخ توقفوا في الفترة الأخيرة عن كتابة الإجازات خطّيا مع ابقائها على الصيغة الشفوية (وليس ذلك عيبا بل هو الأصل في هذا الأمر).

وقد تضمّن الكتاب المذكور تحقيق إجازات مخطوطة (عددها 24):

- **أحدثها** الإجازة السبعية العشرية المكتوبة بخطّ الشيخ سيدي **عبد الواحد ابن سيدي إبراهيم المارغني** المشهور (مؤرخة في 7 شوال 1379 هـ- 6 أفريل 1960م) أجاز فيها سيدي **عبد الرحمن بن الطاهر بن أحمد ظريّف** (ت: 1999). رحم الله الجميع وأسكنهم فسيح جناته. وكما هو معلوم عند أهل الاختصاص بتونس، فإن تلاميذ الشيخ سيدي عبد الرحمن كثيرون (أغلبهم اليوم مشايخ)، وخاصة منهم الذين أجازهم في التجويد والقراءات، حفظهم الله جميعا.
- **وأقدمها** إجازة بخط الشيخ سيدي أحمد ابن الشيخ **سيدي علي النوري** إضافة إلى إجازات الشيخ سيدي حمودة إدريس الذي أخذ عن الشيخ سيدي محمد الحرقافي وهو عن الشيخ **سيدي علي النوري**.

وها هي اليوم مدرسة عمر بن الخطاب بفضل الله الكريم المنان، تكمل كتاب «الدرر التونسية» على يدّ الشيخ محمد مشفر(الذي أشرف على الطالب حامد بوراوي)، بتحقيق ثبت أو فهرست شيخنا سيدي علي النوري (ت: 1118 هـ) الذي اشتهر في الأقطار بكتابه «غيث النفع في القراءات السبع» **وهو يعتبر عمدة أهل الفن ومرجعهم في عهده ومن أتى بعده،** خاصة من أهل تونس الذين يعتمدون في القراءات والتجويد على تحقيق الشيخ علي النوري بسندهم المتصل به.

ورغم أن هذه الفهرسة مفقودة في بلادنا، فقد يسّر الله الكريم الحصول على نسخة مخطوطة منها موجودة بالمكتبة الوطنية بالمملكة المغربية زادها الله حفظا ورُقيا.

وهذه الفهرست هي إجازة من الشيخ علي النوري لتلميذه الشيخ أحمد العجمي المُكْنِي (ت: 1122 هـ)، ذكر فيها بعض الأعلام الذين أخذ عنهم في تونس وأكثر الذين أخذ عنهم في المشرق بأسانيدهم. وقد قال فيها المؤلف: «**فالغالب، لا تجد كتابا للمتقدمين ولا للمتأخرين في جميع العلوم إلا ولنا به اتصال وسند مُوصلنا إلى مؤلفه**». رحم الله الجميع، ءامين.

وقد ذكر فيها الشيخ علي النوري أنه رحل لتونس في عنفوان الشباب وقرأ على الشيخ عاشور القسنطيني والشيخ سليمان الأندلسي والشيخ محمد القروي وأثنى عليهم. ثم رحل لمصر وأخذ عن أئمة منهم المسند أبو إسحاق المأموني الشافعي والأستاذ أحمد السنهوري المالكي والمحقق أبو بكر الشنواني وشيخ الشيوخ محمد الخفاجي والد الشهاب الخفاجي والمحدّث الشيخ الشبراوي المالكي والشيخ نور الدين الزيادي والقدوة الشيخ محمد بن محمد بن ناصر الدرعي وأجازه في العلوم. وزين العابدين حفيد الشيخ زكرياء الأنصاري والمحقق الشيخ يحيى الشاوي وشاركه في مشايخه المصريين وأجازه بما رواه عن مشايخه المغاربة وهي الموطأ والشفا والصحيحان وحزب البحر وكتب الشيخ السنوسي وغير ذلك. وشيخ الحفاظ والمصنفين علي الشبراملسي ومشايخه كثيرون وجلهم ذكرهم في حاشيته على المواهب اللدنية. ومن جملة ما قرأه عليه النشر في القراءات العشر. والشيخ أحمد بن أحمد العجمي ومحمد بن محمد الافراني المغربي السوسي والشيخ علي الخياط الرشيدي والشيخ محمد الخرشي والشيخ إبراهيم الشبرخيتي والشيخ أحمد العنابي. وغيرهم...

فسبحان الله الذي هيّئ الأسباب لإخراج هذه الكنوز التي اختص بها أحبابه، وذكّرنا بقوله جلّ وعلا بالآية 82 من سورة الكهف ﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ**

يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾

وله الحمد أن جعل تونس بلدا مباركا لا ينقطع عطاؤه للعالم الإسلامي بأسره.

فنسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل بمنّه وكرمه وأن يعمّ به النفع كما نفع بأصله، إنه حميد مجيب، **وأن يشرّفنا بالانتساب إلى خدمة كتابه ونصرة دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم والدخول في الطائفة القائمة على الحقّ**. ورحم الله الشيخ سيدي علي النوري والشيخ أحمد العجمي المكني وجميع مشايخنا وخدمة كتاب الله، ءامين.

كما نسأل الله أن يمدّ القائمين على مدرسة عمر بن الخطاب بالصحة والعافية حتى يتواصل إشعاع هذا الصرح العلمي الذي أسسه الشيخ حسن الورغي على تقوى. رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجازاه عنّا وعن المسلمين خير جزاء. ءامين.

شفاء السقام في زيارة خير الانام

لشيخ الإسلام الحافظ الامام تقي الدين السبكي

تقديم وتحقيق الأستاذ صالح العود

موضوع الكتاب كما هو واضح من عنوانه: زيارة المدينة، ونبينا عليه واله الصلاة والسلام، وقد قام الامام السبكي بالكتابة فيه، ربما لما وجده في زمانه من لغط واعتراض، وهو يفصح عن ذلك. فيقول فيه لم (يكن) يظن احد ان يقع في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم (حيث هو مدفون في المدينة المنورة)، أو في السفر إليها نزاع في القرون الثمانمائة ...(بل) إن سفر الحجيج إليها لم يزل في السلف والخلف، وانها تابعة للمناسك، وأكثر عبارات الفقهاء أصحاب المذاهب، ممن حكينا كلامهم في (باب الزيارة)، يقضي استحباب السفر لانهم استحبوا للحاج بعد الفراغ من الحج الزيارة، من ضروريّها السفر.

لذلك انبرى الامام السُّبكي في حزم وجد إلى وضع كتابه السديد في هذا الموضوع الجدير بالتعرف إليه من حيث ادلته الشرعية من طرف كل مسلم ومسلمة، عالما كان أو غير عالم.

1*أما الكتاب: فقوله تعالى **(ولو أنهم إذ ظلموا انفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما)** (النساء64)

* دلت الاية على الحثّ على المجيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم والاستغفار عنده: واستغفاره لهم، وذلك وإن كان ورد في حال الحياة، فهي رتبة له صلى الله عليه وسلم لا تنقطع بموته تعظيما له.

ولذلك فهم العلماء من الاية العموم في الحالتين- (أي) في (الحياة وبعد الموت)- واستحبوا لمن اتى إلى قبره صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الاية ويستغفر الله تعالى، وحكاية العتبى في ذلك مشهورة وقد حكاها المصنفون في المناسك من جميع المذاهب،

والمؤرخون وكلهم استحسنوها، وراوها من اداب الزائر وما ينبغي له ان يفعله.

2*واما (السنة): فما ذكرناه في الباب الأول والثاني من الاحاديث، وهي ادلة على زيارة قبره صلى الله عليه وسلم بخصوصه، وفي السنة الصحيحة المتفق عليها للامر بزيارة القبور، وقال صلى الله عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها) وقال صلى الله عليه وسلم (زوروا القبور فانها تذكركم الاخرة)، وقال الحافظ أبو موسى الاصبهاني في كتابه (اداب زيارة القبور): ورد الأمر بزيارة القبور من حديث بريدة وانس وعلي وابن عباس وابن مسعود وابي هريرة وعائشة وابي بن كعب وابي ذر رضي الله عنهم.انتهى كلام ابي موسى الاصبهاني.

فقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد القبور، داخل في عموم القبور المامور بزيارتها.

3*وأما (الاجماع): فقد حكاه القاضي عياض على ما سبق في الباب الرابع: واعلم ان العلماء مجمعون على انه يستحب للرجال زيارة القبور، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها للحديث المذكور، وممن حكى اجماع المسلمين على الاستحباب أبو زكريا النووي: (وذلك) بالاحاديث الصريحة الصحيحة، والسنن المستفيضة المعلومة، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، فانا نقطع ونتحقق من الشريعة بجواز زيارة القبور للرجال، وقبر النبي صلى الله عليه وسلم داخل في هذا العموم، ولكن مقصودنا اثبات الاستحباب له بخصوصه للادلة الخاصة، بخلاف غيره ممن لا يستحب زيارة قبره لخصوصه، بل لعموم زيارة القبور، وبين المعنيين فرق كما لا يخفي، فزيارته صلى الله عليه وسلم مطلوبة بالعموم والخصوص بل اقول، انه لو ثبت خلاف في زيارة قبر غير النبي صلى الله عليه وسلم لم يلزم من ذلك اثبات خلاف في زيارته، لان زيارة القبر تعظيم، وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم واجب، واما غيره فليس كذلك، ولهذا المعنى اقول والله اعلم: انه لا فرق في زيارته صلى الله عليه وسلم بين الرجال والنساء لذلك، ولعدم المحذور في خروج النساء إليه.

4* ثم (القياس): وذلك على زيارة النبي صلى الله عليه وسلم البقيع وشهداء احد، وسنبين إن ذلك غير خاص به صلى الله عليه وسلم، بل مستحب لغيره، واذا استحب زيارة قبر غيره صلى الله عليه وسلم فقبره اولى لما له من الحق، ووجوب التعظيم.

***والقران** كله، والاجماع المعلوم من الدين بالضرورة ، وسير الصحابة والتابعين، وجميع علماء المسلمين، والسلف الصالحين، على وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم. قال تعالى ﴿**مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾الاعراف 186

يا ربّ صل عليه منقذ الامم

شعر فضيلة الشيخ محمد عبد السلام خليل رحمه الله

طرابلس ليبيا

يا رب صلّ عليه منقذ الامم ... في يوم بعث الورى من ظلمة العدم
يوم الوجوه تُرى بيضا وسودا وما ... تجدي العصاة دموع التوب والندم
ويوم من جعلوا الاهواء الهة ... ياتون بُكما وعميانا وفي صمم
ما من مغيث يغيث الناس يومئذ ... سوى إمام الهداة المفرد العلم
محمد اية كبرى سماوية ... لارضنا قد حباها بارئ النسم
محمد لبني الإنسان مدرسة ... علوم منهجها من واهب النعم
محمد لم يكن الا منار هدى ... يشيع انواره في الاعصر العتم
محمد نحو دنيا النور رائدنا ... محمد ملهم الاجيال من قدم
محمد قمة في الفضل شامخة ... تسموا على كل عملاق من القمم
محمد رحمة للناس جامعة ... محمد كفه اندى من الديم
محمد مثل فذ بعالمنا ... محمد ذكره يشفي من السقم
محمد عقد دنيانا وجوهرها ... محمد منبع الاسرار والحكم
محمد اسبغ المولى عليه ردا ... نسيجه من كمالات ومن قيم
محمد منهل طابت موارده ... مقدّس فيضه ريّ لكل ظم

محمد اشرقت انوار بعثته تنير افاق اهل الأرض كلهم
وتُلهم المؤمنين ان يُصلوا على من جاءهم يهدي الورى بالسيف والقلم
محمد فجره الهادي اضاء دُجى ليل الجهالات والتاليه للصنم
من كان يحلم ان تجفو العروبة ما قد اركست فيه من بغي وسفك دم
كانوا يعيشون فوضى لا نظام لهم مثل السوائم في البيداء والنعم
شريعة الغاب فيما بينهم حكم ومنطق الناب فيهم نافذ الكلم
وقد اعادت رسالات السماء لهم بناء ما هدم الشيطان من ذمم
والعرب لولا رسول الله ما قفزوا إلى الثريا وكانوا سادة الامم
محمد حقق البشرى لمجتمع بالكرّ والفرّ والاجرام مضطرم
والعقل حرره من اسره وقضى على رواسب عهد حالك الظلم
والنفس عالج امراضا بها وقرت بالحب يزرعه وصلة الرحم
محمد صانع البعث الجديد الذي الغى تميّز مخدومين عن خدم
وقال ما احد يسمو على احد الا بفضل التقى والعلم والكرم
هذا الذي اختطه الإسلام منطلقا من اجل تمييز مامون ومعتصم
فخيركم لبني الإنسان انفعكم لساكن الأرض من عرب ومن عجم
واننا السنة الغراء نكبرها منار حق لمستهد ومحتكم
وسوف نحيا وفي اعماق انفسنا حب كبير لجيران بذي سلم
رباه قد قلب التاريخ من زمن ظهر المجن لقومي اشرف الامم
ومزقتهم صراعات مدمرة اغرت بهم منذ حين كل ملتهم
أي أنهم عطّلوا دستور شرعتهم اسمى واقدس ما قد سن من نظم
رحماك رباه قد ضاقت بما رحبت رحماك بالطفل والمرضى وذي الهرم
حصوننا اليوم قد باتت مهددة ترمى بوحشية من كل مقتحم
عزّ النصير الذي تُرجى حمايته وقد غدا شمل قومي غير ملتئم
والصولجان اضاعوه وقد فقدوا دور الريادة في حرب وفي سلم
ارض السلام واولى القبلتين غدت تجتاحها سفلة الاقوام والامم

قدضاعتالأرضوضاعالعرضرب ... وما في المسلمين فتى مثل معتصم
مهازل قد اقرتها محافلهم ... تقضي بحرمان قوم من ديارهم
تمارس الظلم في اسوا مظاهره ... والاستهانة بالإنسان والحرم
يؤوى الغريب وربّ الدهر ليس له ... غير الفيافي وغير الجوع والالم
تلكم عدالة عصر العلم منطقها ... حقّ الحياة لرب السيف لا القلم
وثالث المسجدين من يُطهّره ... من رجس صهيون يا لله للحرم
فمنذ عقدين يشكو هول محنته ... ويستغيث ويا رباه فانتقم
واهله الف مليون يناشدهم ... متى سيشرق يوم البرّ بالقسم
مستصرخا امة القران قاطبة ... ان حرروا بيتكم من غاصب اثم
سيروا ملايين نحو القدس غاضبة ... واغرقوهم بطوفان من الحُمم
فنحن اضعاف اضعاف الذين غزوا ... مسرى الرسول وداسوا حرمة الحرم
الاربعون من الاعوام عاصفة ... لم تذكِ رغم الماسي خابي الهمم
كانما العرب قد ماتت ضمائرهم ... أو أنهم اصبحوا في حيّز العدم
أو كانهم كغثاء السيل واسفاه ... وفقا لما رووا عن صادق الكلم
وهبّ جيل من الفتيان يمطرهم ... حجارة مثل سيل جارف عضرم
اقض مضجعهم اهوى عزائمهم ... ولم يبال بما يلقون من حمم
في كلّ مشرق شمس وانتفاضتهم ... تصلي العدو لظى في غير ما سام
طوال عام وثلث العام قد حرموا ... حلو المنام وما اعتادوا من النعم
ورغم حجم الضحايا والضغوط بلا ... حدّ وعدّ وهول جدّ محتدم
سيبلغ الفتية الاحرار شاوهم ... ما قارعوا الخصم صفا غير منضرم
فيا لها غضبة اوهت عزائمهم ... واسمعت صوتها حتى ذوي الصمم
وروّعت جندهم فانهار مضطردا ... لا يدرك الفرق بين البهم والبُهم
في يومه وابل الاحجار يغرقه ... وحين يمسي سواد الليل لم ينم
تفجرت ثورة الاحجار محبطة ... ما كان يرجو ابن صهيون من حلم
سلاحها الحق والايمان عدتها ... ودعم شعب بحبل الله معتصم

تسير مرفوعة الهامات مؤمنة بنصر رب شديد البطش منتقم
هذي حجارة سجيل تطاردهم بكل فجّ وحتى داخل الاطم
وما طيور ابابيل لهم بُعثت بل فتية مثل ازهار من العنم
لن يهدا اعصارها حتى تدمرهم أو تعزف القدس لحن الفوز بالعلم
وينجلي الليل مهما ناء كلكله عن ثغر صبح كلون الورد مبتسم
الا فحيّ شبابا عزّلا رفضوا في كبرياء وتصميم وفي شمم
ان يستكينوا لمحتل يسوسهم كما يُساس قطيع النوق والغنم
أو كالرقيق صغير القوم يامره ومضا له من معاذير سوى نعم
نسف البيوت وابعاد لساكنها صفر اليدين حافي القدم
وكسر اعظمهم حتى منيّتهم ممّا يُنزّه عنه ساكن الاجم
هذا وامثال هذا من جرائمهم شعار جيش لقيط فاسد الذمم
لن ينطفي ابدا لهيب ثورتهم أو يستجاب لشعب بالعدا برم
ما ضاع حق ورب الحق يطلبه ليل نهار باصرار وبذل دم
كشعب اوراس والتاريخ كرمه بتاج فخر من الياقوت منتظم
والتضحيات بمليون غدت مثلا تروى اقاصيصها في سائر الامم
هي الجزائر رمز البذل ملهمة روح النضال لمن في الأرض كلهم
هي الجزائر عنوان الفدا قبسا تهدي اشعته الابطال في الظلم
ام الشهيد مسار الشمس موقعها وسرد قصتها من اجمل النغم
وكل باغ وان راق الزمان له سينتهي صفه يوما إلى نقم
وسوف يبكي دما يجني الحصاد غدا انواء عاصفة وسوء مختتم
لا يفلت الظالمون من قصاص قضى به عليهم قديما خير منتقم
وفي الحساب سيلقي نفسه فزعا مروّعا بين ايدي الخصم والحكم
رباه ما بال شمس الشرق قد حجبت عنّا بليل رهيب حالك الظلم
مرّت قرون وما بالافق بارقة تلوح رمزا لصبح مشرق بسم
فاذن لنا بانبلاج الفجر تغمرنا اضواؤه بالمنى يا واسع الكرم

وافتح لامتنا باب الرجاء لكي ... تقوى على قول لا في الحق أو نعم
حتّام رباه والإسلام مُدبرة ... أيامه وعيون النحس لم تنم
إلى متى وسفوح الشم موطننا ... ويعتلي من سوانا شامخ القمم
إلى متى وصفوف الخلف مقعدنا ... والامتياز لهم في الحرب والسلم
متى اللحاق وركب العصر منطلق ... في زحفه مثل ومض البرق في الظلم
لكن إذا اعتصمت بالله امتنا ... والله للضعفاء خير معتصم
ولو اعادت للإسلام قوته ... وكل فرد بحبل الله معتصم
لما غدت قوة في الأرض تقهرنا ... ولن تمثل قط دور منهزم
إن تنصروا الله ينصركم ونُصرتكم ... لله طاعته في الحلّ والحرم
والاستفادة من عصر منابعه ... تروي الظماء وتبني نهضة الامم
يا لمن لعزّته تعنوا الوجوه ومن ... لباسه تخضع الاساد في الاجم
ادرك سريعا بني الإسلام انهم ... ممزقون كقطعان من الغنم
مستضعفون تهاوى نجم عزّتهم ... لا يرتجون لذي حرب ولا سلم
فارحمهموا رحمة تاسوا جراحهم ... بلمسة الحب للتوحيد والعلم
وعودة لكتاب الله صادقة ... وسنّة المصطفى موسوعة الحكم
يا واهب الخلق ارزاقا مقدرة ... ومرسل النور يمحو داجي الظلم
هيء لنا ربّ تحت الشمس منزلة ... نعلو بها من جديد قمة الهرم
يا ملهم الرضع النجدين معجزة ... من بعد ما برزوا من غيهب الرحم
جسّد على مسرح الأيام ماضينا ... بكل ما فيه من عز ومن شمم
اعد إلى الشرق مجدا كان شيّده ... وايقظ النائمين من سُباتهم
وابعث بفضل رسول الله امتنا ... ذات الرسالات من دوامة العدم
وامنح بنيها قياد الفكر ثانية ... ليستعيدوا البناء بالعلم والهمم
فحسب امتنا ما نالها سلفا ... وعاق موكبها من عاصف النقم
وصل وسلم كل بارقة ... على إمام الهداة المفرد العلم
من هديه بعد كتاب الله سنا ... بنوره نهتدي في الحل والحرم

اه لشعب رصاص الغدر منهمر على بنيه كطوف من الحمم
فمنذ جيل ونصف الجيل تنهشه كلاب صهيون في حقد وفي نهم
قد طال ليل الماسي في مرابعهم ولم يجب بعد يوم الكشف للغم
فهل يعود صلاح الدين ثانية وفي يديه لواء العزّ والشّمم
يطهر القدس من رجس يدنسه وتنطوي فترة الالام والنقم
ويومها يلتقي الماضي بحاضرنا وتشرق البسمات فوق كل فم
وتنجلي ظلمات خيمت زمنا ويختفي ورم من اخبث الورم
ويستعيد الاصم السمع ثانية ويبصر النور والديجور كل عم
هذي امان ولكن من يحققها ما دام حامي الحمى في ساحة العدم
وليس من عجب إن ادمع سكبت لواقع بماسي العرب مزدحم
أو اخرس دامي القلب من الم واخرس الاكتئاب عازف النغم
واين من دوخوا الاعداء من سلف سعد وعمر وحسان وغيرهم
واين الوليد وموسى والرشيد ومن قد لقّن القوط درسا بالغ الالم
واضرم النار في شتى مراكبه ليستحيل فرار أي منهزم
اعظم به طارقا اهدى لامتنا رصيد مجد به تزهو على الامم
ونجل مروان والمامون سابعهم وثامن العقد في الترتيب معتصم
حين الاسيرة في عمورية صرخت اليك الجا رب العرش والقلم
مالي سواك استغيث به سوى الخليفة في بغداد معتصم
فهل تزالين يا بغداد نائمة والذئب منطلق يعيث في الغنم
وكان علج من الأروام يلطمها لتستجيب لوحشي جائع نهم
واستعصمت رغم ما تلقاه من محن وفحش قول وتهديد لسفك دم
روى الاسير له ماساته فبكى وقال ويل لهذا الفاجرالاثم
وهزّ البطل المغوار صرختها فصاح لبيك اخت الدين والرحم
فسوف اضرمها حربا مؤججة على بني الروم في عقر ديارهم
افدي فتاة تناديني مولولة يا بن الرشيد ادركني ولا ترم

قد جاوز الروم يا ابن العم حدّهم ... لم يبق بعد انتهاك العرض من سلم
تلكم شراك بجوف الليل تلهبها ... صيات علج خبيث القصد منتقم
وساق جيشا كموج البحريدفعه ... حب الجهاد والاستشهاد والغنم
تسابق الريح خيل الله حافلة ... اسرابها بسروج الحرب واللحم
وكان يوما على ال الصليب سرت ... اخباره في بلاد العرب والعجم
باء الفرنجة بالخذلان واضطربت ... صفوفهم رغم ما شادوا من الاطم
وانقذ الشرف الغالي لمؤمنة ... فتى غيور على الإسلام والحرم
وعاد بالحرةالعذراء طاهرة ... وحول شائعات السوء لم تحم
في الهرسك اليوم والبوسنا يراق دم ... لاخوة ابرياء في ديارهم
حرب مدمرة شعواء يضرمها ... اهل الصليب على قوم ذوي همم
وليس من احد هب ينجدهم ... كفاتح القدس ايوب ومعتصم
والمسلمون وهم كالرمل عدتهم ... لم يسعفوا امة من اهل دينهم
يبيدها الصرب في حقد ووحشية ... وليس غير قرار الشجب والتهم
والصرب من ارثودكس الروم مسلكهم ... اشد وحشية من ساكن الاجم
وما شريعة عيسى يحكمون بها ... إذ ليس غير الهوى والحقد من حكم
لا يحفلون باخلاق ولا مثل ... ولا باية اعراف ولا نظم
والغل كالدم يجري في عروقهم ... والكره نار تلظى في صدورهم
والشر والغدر جزء من طباعهم ... والصخر أكثر لينا من قلوبهم
والباباوية ترى وتسمع احداثا مروعة ... إذ ليس تنكر شيئا من فعالهم
والغرب من خلتهم يذكر بسخاء لهم ... ممثلا في الخفاء دور متنعم
لم ينس عكا والقدس الشريف وما ... جرى بحطّين من تدمير جيشهم
اعظم به الناصر الميمون من بطل ... قد لقن الروم درسا بالغ الالم
الا فحيّ دفينا في دمشق سما ... بالعُرب والشرق حتى قمة القمم

خطبة الجمعة

ذكرى مولد رسول الله ﷺ محطة لإستلهام الدروس من سيرته وشمائلة العطرة

الحمد لله العظيم السلطان الحليم المنّان ذي الجلال والاكرام حمدا لا نحصي ثناء به عليه فنعمه لا حدّ لها ولا عدّ وأعظمها علينا معاشر المؤمنين وكل الخلق أجمعين هي بعثة سيّد الاولين والاخرين عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. سيدنا محمد بن عبد الله القائل في حقه جلّ وعلا ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ هذا للناس كافة وكل ما خلق وبرأ جلّ وعلا من كفر منهم ومن آمن ومن أطاع ومن عصا أما ما هو للمسلمين خاصة فهو ما امتن به عليهم وذكرهم بذلك في آيات عديدة منها قوله جلّ من قائل ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾.

فالحمد لله على هذه النعمة العظمى والمنّة الكبرى، له جلّ وعلا الفضل فيها فهو من هدانا ولولا أن هدانا لكنا من الكافرين الضالين.

وأشهد أن لا اله إلا الله مسبغ النعم ومطفئ الفتن ومذهب الحزن سبحانه وتعالى ربّ واحد وإله شاهد ونحن به مؤمنون واليه منيبون.

وأشهد أن سيدنا محمدا خاتم أنبيائه ورسله وصفوته من خلقه وشفيعه في امته يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم لا تنفع اموال ولا اولاد ويفزع الجميع اليه عليه الصلاة والسلام ليشفع لهم عند ربهم فاللهم اجعلنا من أهل محبته وشفاعته وممن يرد حوضه ويسقى من يده الكريمة الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدا.

واوصيكم عباد الله بما أوصي به نفسي واذكركم وأذكر نفسي فإن الذكرى تنفع المؤمنين، عليكم عباد الله بتقوى الله في السرّ والاعلان وفي الاقوال والافعال وفي

سائر الاحوال فإنها التجارة الرابحة وخير الزاد ليوم المعاد **(وتزودوا فإن خير الزاد التقوى)**

عباد الله المسلمين هاهو ذا شهر ربيع الأول يهلّ علينا، والايام والليالي والاشهر والاعوام تتفاضل فيما بينها كما يتفاضل الناس بالتقوى فكذلك أشهر العام فشهر رمضان هو شهر نزول القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. وشهر ربيع الأول ويوم الاثنين من هذا الشهر في الثاني عشر شهد مولد سيّد الكائنات عليه الصلاة والسلام

الفرحة بهذا اليوم، يوم مولد النور الساطع والبرهان القاطع من أرسله الله بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ليخرج كل الناس من الظلام إلى النور ومن الجور إلى العدل ومن الضيق إلى السعة

الفرحة بهذا اليوم في شهر ربيع الأول وكان يوم الاثنين ندب وحبّب ورغّب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشكر فيه الله ويُحمد ويتقرب اليه بأفضل ما يتقرب اليه عباده الصالحون وذلك عندما أجاب من جاء يستاذنه في صيامه قال عليه الصلاة والسلام **(صُمه فذلك يوم ولدت فيه وبعثت فيه)**

فمشروعية تخصيص يوم مولده بما يقرب إلى الله من الاعمال الصالحة شكرا لله على منته وفضله الدليل عليها وعلى جوازها واستحبابها وندبها هو هذا الحديث ومشروعية ذلك تستنتج وتستخلص ويهتدى بها كذلك مما سنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم من سؤاله لمّا حل بالمدينة ووجد اليهود يصومون يوم العاشر من محرّم سألهم لماذا يصومون ذلك اليوم فقالوا ذلك هو اليوم الذي نجى فيه الله موسى عليه السلام من فرعون وجنوده. هنالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **(نحن أولى منكم بموسى نشكر الله على ذلك فأمر بصوم ذلك اليوم وقال لئن عشت إلى عام قادم لأصومن التاسع والعاشر)**

فعندما يبتهج المسلمون بذكرى مولد سيد الكائنات عليه الصلاة والسلام فإنهم لايأتون بدعة ولا يمكن أن ينطبق عليهم الحديث الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم **(كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)** بل هو من السنن الحسنة وفي الحديث الشريف **(من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها)**.

ليس في الفرحة برسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام بكل الاعمال الصالحة المعبّرة عن السرور والشكر لله والتي فيها مرضاته- أي ابتداع وضلالة طالما أن ما

يقام بهذه المناسبة متقيد بالشرع كالاجتماع في بيوت الله وفي المنازل مع افراد العائلة لتدارس سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشمائله العطرة، ليس في ذلك أدنى تشخيص أو شبهة شرك وضلالة- إنها مناسبة لصلة الأرحام وإكرام الاجوار واصلاح ما عسى أن يطرا بين أفراد المجتمع من اختلاف وتنازع وكله مصدره وسببه ما اعتبره رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس كل خطيئة وهو حب الدنيا، والقول بأن صدر الامة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد الصحابة ومن جاؤوا بعدهم لم يحتفلوا بالمولد ولم يحيوا هذه الذكرى المجيدة قول ترده القاعدة الاصولية (**أن الترك لا يفيد المنع**) وهل جمع رسول الله عليه وسلم المصحف الشريف؟ لقد وقع جمعه في مرحلة أولى في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه وجمع الجمع النهائي على ما هو عليه اليوم في عهد الخليفة الثالث سيدنا عثمان رضي الله عنه ولولا أنهم فعلوا ذلك لتعرضت آيات الكتاب العزيز إلى الاختلاف المؤدي إلى التنازع والتنازع في الدين من أعظم البلايا والمصائب وهو ما تشهد عليه حقب التاريخ الماضية وأيامنا الحاضرة، فإن كان جمع المصحف بدعة فنعمت البدعة أي السنة الحسنة.

وهل جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين في شهر رمضان في صلاة القيام على إمام واحد، لم يفعل ذلك عليه الصلاة والسلام رحمة بالامة وتخفيفا عليها وخشية من أن يفرض عليهم ولا يستطيعون.

وفي عهد سيدنا عمر الفاروق- المحدّث الذي كثيرا ما وافق رايه مراد الله من عباده والذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (**لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر**) لما رأى رضي الله عنه انشغال الناس على صلاة القيام في رمضان جمعهم على إمام يحيون بالقرآن ليالي شهر رمضان- فهل نقول ان هذا الصنيع من عمر رضي الله عنه بدعة وضلالة مفضية إلى النار؟! معاذ الله- فمضى عمله رضي الله عنه سنة متبعة من بعده إلى يوم الناس هذا في كل بلاد الإسلام وحتى خارجها حيث يوجد مسلمون ولله درّ الإمام علي رضي الله عنه عندما مرّ بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى ليالي شهر رمضان والقرآن يرتل فيه قال داعيا لسيدنا عمر بهذه السنة الحميدة (**نورت بيت الله يا عمر نوّر الله قبرك**) إنها سنّة عمرية- وما أكثرها السنن العمرية المباركة التي قوي فيها عود الإسلام فأصبح عصيا عن أن يُكسر وانتشر نور الإسلام الذي استحال على الكُفّار إطفاؤه فالسنة الحسنة وخصوصا سنة الخلفاء الراشدين الهادين المهديين نحن مأمورون باتباعها بصريح الحديث (**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين الهادين المهديين من بعدي**)

لسنا في الحقيقة والواقع محتاجين لايراد هذه الأدلة على استحباب إحياء ذكرى المولد الشريف. والتذكير بأيام الله ورد في كتاب الله العزيز في قوله **(وذكرهم بأيام الله)** وكيف لا يكون مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من ايّام الله؟ إنه أعظم الايام وأفضلها.

مضى على الوقوف عند هذا اليوم السلف وتبعهم الخلف- والمخالف يحفظ ولا يقاس عليه.

وما العيب وما المخالف للشرع وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كانت هذه المناسبة فرصة لمزيد التذكير بفضل الله ونعمه التي لا تحصى والتي أجلها نعمته ببعثه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم- البشير النذير الداعي إلى الله والسراج المنير- فحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم – كلها دين وكلها عبر ومواعظ وكلها دروس والاجتماع لتدارسها وتدبّرها واستعراض مختلف جوانبها من خلال سرد قصة مولده ومن خلال قراءة شمائله ومن خلال الإنصات والاستماع لأجمل ما جادت به قرائح الشعراء من حسان وكعب وصولا إلى البوصيري وشوقي فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان **(أنشد ومعك روح القدس)** ونزع برده وألبسه لكعب مجازاة له على مدحه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قصيد **(بانت سعاد)** انه نشر لفضائل ومكارم من قال الله في حقه ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ فهو من كان خلقه القرآن- وليس في ذلك تشخيصا لكنه تعريف بالإنسان الكامل والمسلم الأوّل الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه- وهو ما يزيد المؤمن إجلالا وتعظيما وتقديرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أيضا ما يدفع المسلم للاقتداء بهديه الشريف وهو ما أمر الله به المؤمنين في كتابه العزيز ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ وهذا الاقتداء والاتباع لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو علامة المحَبّة الحقيقية الصادقة – وسواها ادّعاء- يقول جلّ من قائل ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾**ق** فالاتباع علامة الحب والاتباع بدون حبّ هو رسوم واشكال – الحبّ هو الذي يرسّخ الاتباع ويجعله هوى للنفس والرسول صلى الله عليه وسلم يقول **(لا يكون أحدكم مؤمنا حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)** وهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحب ما جاء به دين بل هو علامة الدين الحق الصحيح يقول عليه الصلاة والسلام **(ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الايمان: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما)** إن المحبين المتيمن بحبّه عليه الصلاة والسلام معه في الجنّة الم يُبشّر رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال: **لم أعدد للساعة يا رسول الله إلا حبّ الله ورسوله قال له أبشر**

أنت مع من أحببت) إن حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم دين بل هو أعظم الدين وأكمله وهو سفينة النجاة من ركبها وصل إلى شاطئ السلامة

هذه عباد الله توطئة، هي مجرّد تذكير وتعزيز ودفع للمسلمين كي يستقبلوا هذا الشهر المبارك الاغرّ الذي يهل علينا باليُمن- وقد لمسنا أثر الفرحة بقدوم هذا الشهروالحفاوة بمن ولد فيه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام من عظيم الاثر على المسلمين في كلّ بلاد الإسلام وخارجها هناك في ديار الغرب بالخصوص حيث يعيش ملايين المسلمين من مختلف الفئات ومن العائلات بكل مكوناتها: آباء وأمهات وشبانا وأطفالا ذكورا وإناثا فقد أصبحت منذ سنوات تقام بينهم لقاءات عائلية يتبادلون فيها التهاني ويكارمون بعضهم البعض ويمررون لأبنائهم الصغار في تلك المجتمعات التي تقام فيها احتفالات صاخبة إحياء لميلاد سيدنا عيسى عليه السلام رسائل فقد أصبحت بجانب تلك الاحتفالات وباختلاف كلي معها تقام لقاءات المحبّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والتعرف على هذا النبي العظيم والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ونشر فضائله وشمائله وسيرته العطرة وتمريرها للصغار والكبار من تلك الفئات مما يزيدهم تعلقا به عليه الصلاة والسلام واهتداء بهديه في السيرة والسلوك والمعاملة فيما بينهم أباء وابناء واجوارا وفيما بينهم وبين غيرهم ممن ليسوا على دين الإسلام وتعاليم الإسلام في كتاب الله العزيز وفي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي يمكن أن تكون لهم دعوة إلى دين الإسلام الدين الخاتم الذي رضيه الله لعباده، كل عباده، دينا قيما لا اعوجاج فيه دين امن وسلام وتعايش وسماحة واعتدال يابى الظلم والعدوان ولا يبغي الفساد خطابه للناس كافة﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾.

لقد رأينا ولمسنا في إحياء ذكرى المولد النبوي في ديار الإسلام كافة بوادر صحوة روحية مباركة – لا غاية من وارئها إلا مرضاة الله- وراينا ذلك خارج ديار الإسلام وقد بدأت كردّ فعل على تلك التصرفات المشينة المتمثلة في نشر تلك الصور الكاريكاتورية لرسول الله صلى الله عليه وسلم. كان ردّ الفعل عليها مزيد التعريف بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسالته التي هي رسالة خير للناس كافة، تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتدفع بالتي هي أحسن وتكظم الغيظ وتعفو عن الناس، هذه السماحة في الرسالة المحمدية المجسّمة في رسول الله صلى الله عليه وسلم هي التي يكتسح بها الإسلام وبدون ضوضاء كل بلاد الدنيا وهي المؤذنة بإذن

الله بفجر عهد قريب في مشارق الأرض كما وقعت البداية، حيث وصل الإسلام وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما ستكون ان شاء الله تكون كذلك في غرب الكرة الارضية ويشاء الله أن يكون ذلك على ايدي أبناء الغرب الإسلامي من ربوع المغرب الادنى والاوسط والاقصى بنشر ما حبره علماء هذه الربوع من شمائل محمدية منها **كتاب الشفا** للقاضي أبي الفضل عياض الذي لم يكتب ولم يؤلف مثله في الوفاء بحقوق المصطفى عليه الصلاة والسلام والذي لا تزال تعقد مجالس لختمه في المساجد ومنها الجامع الاعظم جامع الزيتونة المعمور عند باب الشفا في ركنه الايمن وفي بقية المساجد وفي الزوايا والمغارة الشاذلية وفي المنازل يقرأ بتدبر من يغشون مجالس الشفا ما فيه من علم مدقق محقق القاضي عياض رضي الله عنه وقد شهد العلماء وأهل الله لهذا الكتاب المبارك عجائب (ولا عجب في امر الله) كما شهد له غير المسلمين من كبار المفكرين الذين نصح أحدهم طلبته المسلمين بان يتولوا نشر هذا الكتاب وترجمته لمختلف اللغات فهو ابلغ دعوة لدين الإسلام، وهو محق في ذلك لأن الذي يقول الإسلام يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جسّم القرآن في أقواله وأفعاله وبخلق القرآن تخلق وصدقت السيدة عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه عليه الصلاة والسلام **قالت** »**كان خلقه القرآن**».

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولوالدي ولوالديكم انه هو الغفور الرحيم

خطبة جمعة القيت بجامع البحيرة1 تونس من طرف الشيخ محمد صلاح الدين المستاوي

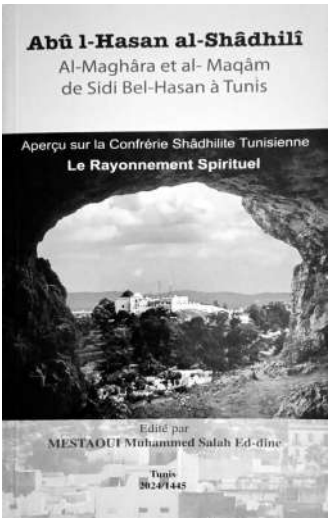

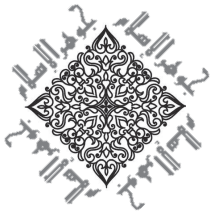

يسألونك قل

من يُرد به الله خيرا يفقهه في الدّين

بقلم فضيلة الشيخ الحبيب النفطي رحمه الله

هداية اللّه

السؤال: أن الله تعالى يقول في كتابه الكريم (ويهدي من يشاء) اريد تفسيرا معمقا لهذه الاية وماذا يقصد ربنا تعالى بالتحديد في هذه الاية وهو سبحانه يدعو عباده إلى الصلاح وفعل الخير وهو بيده زمام الأمور فيجعل من يشاء إنسانا خيرا ويجعل من يشاء إنسانا شريرا مفسدا يعني أن الإنسان مهما حاول اصلاح ذاته يبقى في الاخرة امره معلقا إلى مشيئة الله

الجواب: اعلم ايها السائل الكريم أن الاهتداء إلى اتباع الصراط المستقيم لا يملكه الإنسان وإنما هو بتقدير الله وارادته تعالى قال جل وعلا ﴿**مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا**﴾ الاية17 من سورة الكهف وقال جل ذكره مخاطبا نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عندما كان حريصا على هداية عمه أبي طالب إلى الايمان بالله ورسوله فقال جل من قائل ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ الآية 56 من سورة القصص وفي الحديث القدسي الشريف يقول الله تعالى مخاطبا عباده (**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني** (اي اطلبوا الهداية) **اهدكم**) الحديث للامام الترمذي في سننه وعليه ايها السائل الكريم فان الإنسان لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولكنه مطالب بالسعي والعمل الصالح كي يرضى الله عنه قال تعالى ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ الآية69 من سورة العنكبوت

حكم التيمم لصلاة الفريضة والنافلة ودخول المسجد

السؤال: هل يجوز للإنسان الذي ليس له عذر يبيح له التيمم أن يتيمم للنافلة استقلالا اي بغير تبعية لصلاة الفرض؟ ثم ما معنى قول ابن عاشر رحمه الله تعالى؟ وجاز للنفل ابتدا ويستبيح الفرض لا الجمعة حاضر صحيح؟

الجواب: اعلم ايها السائل الكريم أن الإنسان الحاضر اي غير المسافر وهو حاضر صحيح اي غير مريض مرضا يبيح له التيمم لا يجوز لهما أن يتيمما للنافلة استقلالا اي ابتداء وإنما يجوز لهما ان يصليا النوافل بالتبعية للفرض بشرط اتصال النوافل بالفريضة التي تيمم لها وكذلك لا يجوز للحاضر الصحيح أن يصلي الجمعة بالتيمم بناء على أن الجمعة بدل عن صلاة الظهر لا فرض يومها فإذا قلنا انها بدل عن صلاة الظهر فانه لا يتيمم لها وله أن يصلي الظهر بالتيمم ان ضاق الوقت ولم يجد الماء وهو حاضر صحيح وإما إذا قلنا إن صلاة الجمعة هي فرض يومها فيجوز له أن يصلي الجمعة بالتيمم لئلا تفوته صلاة الجمعة التي هي فرض يومها وقول ابن عاشر رحمه الله تعالى

وجاز للنفل ابتدا ويستبيح الفرض لا الجمعة حاضر صحيح

معناه انه يجوز التيمم للنافلة ابتداء اي استقلالا من غير تبعية لتيمم الفرض وذلك في حق المريض مرضا يبيح له التيمم وفي حق المسافر سفرا تقصر فيه الصلاة فان المريض والمسافر يجوز لهما أن يتيمما للنوافل ابتداء من غير تبعية لتيمم الفرض واما الحاضر غير المسافر والصحيح اي غير المريض فانهما لا يصليان النوافل ابتدء بل يصليان النوافل بتيمم الفرض تبعا للفرض الذي تيمم له وبشرط اتصال صلاة النوافل بالفريضة التي تيمم لها وكذلك لا يجوز للحاضر الصحيح أن يتيمم لصلاة الجمعة بناء على انها بدل عن صلاة الظهر فللحاضر الصحيح أن يصلي الظهر بالتيمم ان ضاق الوقت ولم يجد الماء بدلا عن صلاة الجمعة والله الموفق.

السؤال: إنسان له عذر يبيح له التيمم من اجل مرضه هل يجوز له الذهاب إلى الجامع ليصلي فيه وهو جنب فهل يتيمم اولا لدخول الجامع ثم يتيمم للصلاة التي حضر وقتها أم يكتفي بالتيمم الذي دخل به الجامع فيصلي به؟

الجواب: اعلم ايها السائل الكريم أنه من كان له عذر يبيح له التيمم كالمرض وكان جنبا واراد أن يصلي إحدى الصلوات الخمس في المسجد مع الجماعة أو يصلي الجمعة وكان فرضه التيمم فانه يتيمم اولا بنية دخول المسجد والجلوس فيه ثم إذا اقيمت الصلاة يتيمم مرة ثانية بنية اداء الصلاة.

تفسير آية

السؤال: انني دخلت الجامع ذات مرة فجلست قرب قارئ يقرأ القرآن الكريم فلما بلغ إلى قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ ثم سكت برهة فلم اعرف ماذا قال القارئ في اثناء سكتته الوجيزة ثم استأنف القارئ القراءة فقرأ ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾الاية124 من سورة الانعام فالرجاء حضرة الشيخ اعلامي بالدعاء الذي يدعو به القارئ عند تلاوته لهذه الاية الكريمة

الجواب: اعلم يها السائل الكريم أن هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى ﴿**وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهَّ**﴾ اي أن سبب نزول هذه الاية الكريمة هو أن ابا جهل والوليد ابن المغيرة لعنهما الله تعالى وهما من رؤساء قريش وسادتها الاغنياء في الجاهلية كانا يريان انهما أولى بالرسالة والنبوءة من سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لثروتهما وسيادتهما فقالا لن نؤمن لك يا محمد حتى نؤتى من الوحي مثل ما اوتى رسل الله من قبلك كموسى وعيسى وغيرهما من الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فرد الله عليهم ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ سورة الانعام الاية124 هذا تفسير هذه الاية الكريمة من سورة الانعام أما سكتة هذا القارئ الذي ذكرته في سؤالك عند قوله تعالى ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ فلم يذكر المفسرون لها سببا رغم اني راجعت كثيرا من التفاسير (التحرير والتنوير للامام الشيخ الطاهر ابن عاشور، والجامع للاحكام للقرطبي وتفسير ابن كثير، وتفسير الالوسي، والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزئ وفتح القدير للشوكاني فلم يذكر احد من أصحاب هذه التفاسير هذه السكتة التي سكتها القارئ عند قراءته للاية المذكورة انفا والله اعلم.

التكفير عن الذنب

السؤال: كيف أكفر عن ذنبي مهما كان نوعه؟ وكيف تتم عملية التيمم من الجنابة؟

الجواب: اعلم ايها السائل الكريم أن كفارة الذنب هي التوبة الصادقة والعزم على عدم العودة إلى ارتكاب ذلك الذنب ثم الاكثار من الصدقات ونوافل الطاعات. قال تعالى (ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين) الاية114 من سورة هود عليه السلام ومعنى الحسنات يذهبن السيئات اي أن الحسنات تمحو السيئات حتى لم تعد هناك سيئات وذلك من فضل الله العظيم

ثم لتعلم ايها السائل الكريم أن من كان فرضه التيمم لمرض أو لعدم وجود الماء الكافي لغسله وهو جنب فان تيممه للجنابة من اجل الصلاة وغيرما هو نفس التيمم لمن كان منتقضا وضوءه الأصغر وكان فرضه التيمم بدون فرق بينهما.

هواجس الشيطان لترك الصلاة

السؤال: انا اصلي وعندما ارتكب ذنبا اترك الصلاة فلا اصلي لانني اشعر بالخجل من الله تعالى واحس أنه تعالى لا يقبل مني صلاتي ولا دعائي وحتى الملائكة يتقززون مني فارشدني حضرة الشيخ ماذا افعل؟ وهل هذا الشعور هو من هواجس الشيطان لعنه الله؟

الجواب: اعلم ايها السائل الكريم أن تركك للصلاة عندما ترتكب ذنبا- فتركك للصلاة في هذه الحال خجلا من الله تعالى وبان الله لا يقبل منك صلاتك ولا دعاءك وحتى الملائكة يتقززون منك فكل هذه الهواجس والوساوس هي هواجس شيطانية يريد الشيطان لعنه الله أن يبعدك بها عن اتباع الصراط المستقيم الذي من اهمه الصلاة والدعاء فانت لست نبيا معصوما ولا ملكا كريما قال صلى الله عليه وسلم (كل ابن آدم خطاء (اي كثير الخطايا) وخير الخطائين التوابون) رواه الترمذي وابن ماجة والحاكم في مستدركه وقال صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم) رواه الإمام مسلم في صحيحه وغيره

السؤال: أمي انسانة امية لا تقرأ ولا تكتب ولكنها تصوم وتزكي وتفعل الخير وتقرأ ما تيسر من القرآن الكريم وتعرف ما تيسر من التعاليم الدينية ولكنها احيانا عندما تغضب إذا وقعت لها مشكلة تصرخ اين هو الله مع انني انسانة طيبة فلماذا لا يساعدني؟وهنا اسأل هل سيغضب منها ربي ويعاقبها مثلما يعاقب انسانة تعلمت وقرأت؟

الجواب: متعك الله بحياة امك ورضاها عنك ايها السائل الكريم هذه الام الكريمة التي ذكرتها في سؤالك التي تصلي وتزكي وتفعل الخير وهي عندما تغضب تقول اين هو الله؟ فليس في هذا ذنب إنما تقصد الاستنجاد بالله تعالى والاستنصار به جل جلاله وهو نعم المولى ونعم النصير

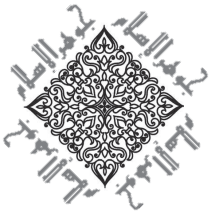

في مدح خير البرية سيدنا وحبيبنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

بقلم د. رضا محمد جبران

إِنِّي بِخَيرٍ وَفَيضُ الشَّوقِ يَغمُرني ... بِذِكرِ أَحمدَ مَا قَد زَادني شَرَفَا

إِنِّي بِخَيرٍ وَمَا غَاليتُ مُبْتَهِجاً ... أُجْلي المَحَبَّةَ لِلمُحبوبِ مُعْترِفَا

إِنِّي بِخَيرٍ وَبَوحُ العاشقين رِضَى ... مِن ذِي الجَلالِ ومن ذاق الهوى عرفا

إِنِّي بِخَيرٍ وَفِي الإِسلامِ مُعْتَقَدي ... أَنّي بِمَدحيَ مَا بَالغتُ مُنْحَرفَا

إِنِّي بِخَيرٍ وقد أَحْبَبتُهُ لَهِجاً ... أَسْقَي الفُؤادَ وَمَا جَافَيتُهُ جَلَفَا

إِنِّي بِخَيرٍ فقَد آلفتُ سُنَّتَهُ ... وَمَنْ يُعَظِّمُ دِينَ اللهِ قَدْ أَلِفَا

إِنِّي بِخَيرٍ لِأَنَّ الحُبَّ أَسْعَدني ... بِمَدحِ أَحمدَ مَسْكُوناً بِهِ شَغِفَا

إِنِّي بِخَيرٍ وَلَا أُخْفِيهِ مُغْتَبِطَاً ... وَلَستُ أَكتمُ حُبَّاً جَاوزَ الكَلفَا

إِنِّي أُحِبُّكَ يَا خَيرَ الوَرى خُلُقَاً ... وَمَا رَأيتُكَ فَامنن نَظْرةً وَكَفَى

هَلْ بَعدَ حُبِّكَ عَذْلٌ لَا يُبَلِّغُني ... وَصْلاً أُنَافسُ فِي تَعْظيمهِ السَّلفَا

لَا لَا حَياةَ لِمَنْ يَجفو مَحَبَّتِكُم ... أَيَا مُحَمَّدُ دَاوِ القَلبَ واللَّهَفَا

مسك الختام

هل تعرفون ما اسم شيخي الذي لم ألتق به ؟

بقلم صالح الحاجة

تمنيت ان ألقاه...وأصاحبه ويصاحبني...وأرافقه ويرافقني...وأجالسه ويجالسني ...وأحادثه ويحادثني ...ولكنني تأخرت 14 قرنا عن الموعد فلم ألتق به ...وحرمتني الأقدار من أن أراه ...وأتعلم منه ...وأتتلمذ على يديه ...وأنتفع ببركاته ...

لقد أحببته حبا لا يوصف وكأنّه ولي حميم ...وكأنّه أب أو عم أو خال أو قريب أو نسيب ...وهو من أبرز الشخصيات التاريخية التي فتنت بها ...وقد أحببته من المرّة الءولى التي قرأت فيها عنه ...ولم يأت هذا الحب بالتدرج ...

لقد وجدت نفسي أسبح في بحيرة تقواه وايمانه وعلمه وتعبده منذ أن اقتربت من بحيرته ...وظللت أحلم بلقياه ...ومن شدّة ارتباطي الوجداني به أكاد أراه... وعايشته معايشتي للكائنات الحية ...

إنني أعيش معه وكأنّه حيّ يرزق ..فهو يقيم في ضميري ...ومشاعري ...وكياني... هل تعرفون مااسم شيخي هذا ...

إنّه ورقة بن نوفل الذي تأخرت عن موعد اللقاء به فلم أحضر تلك اللحظة الفارقة الرهيبة التي تنبأ فيها لسيدنا وحبيبنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بنبوّته ...

آه ...ثم آه كم تمنيت أن أعيش تلك اللحظة العظيمة عندما جاءته السيدة خديجة (ابنة عمه) تعرض عليه أمر زوجها الذي حَدَثَ له حدثٌ سيزلزل الدنيا بعد حين ...

قال المحدثون ورُواة السيرة : فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزي وقالت له : ياابن العم اسمع أخيك ...فسأله ورقة : ياابن اخي ماذا ترى ؟...فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبر ما رأى ...فقال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزله اللّه على موسى صلى الله عليه وسلم ..ياليتني فيه جذع ...ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ...فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو مخرجي هم؟ قال : نعم ...لم يأت رجل قط بمثل ماجئت إلا عودي وأن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ...

كم وددت أن أشهد هذا المشهد العظيم وأسمع من ورقة ما لم يتنبأ به سواه وهي النبوءة الصادقة التي تؤكد أن ورقة من أحباب الله ...وأن إيمانه بالله بلغ المبلغ الذي مكّنه من أن يرى بنور الله وهو الكفيف الضعيف الطاعن في السن الزاهد المتعبد منذ نعومة أظافره وهو الذي كان يعيش بجسده على الارض وبروحه التي تسبح في السماء وفي ملكوت الله تسبح باسمه... وتوحّد وجوده وتتمرّد على عبادة الأوثان والأصنام ...وكان يقضي معظم وقته في الكعبة يتعبّد ..ويذكر الله ...ويتأمل ...ويردد دائما : اللهم إلاهي إلاه ابراهيم ...ودِيني دين إبراهيم ... وكان قبل أن يفقد بصره يقرأ في الكتب الاولى ...كتب التوراة والانجيل ...وكان يحسن اللغة العبرية ... انه قبس من النور الالاهي على الأرض ...وواحد من جنود الله الذين تنطق ألسنتهم بما يضعه الله فوقها من حكمة ... ويشهد الله انني أكدح كدحا في سبيل أن أقترب قليلا من ذلك القبس لأضيء به حياتي فينشرح صدري ...وتزول ذنوبي ...ويتطهر ضميري ...

Dieu est le Créateur de l'être humain et de ce qu'il agit
Il assiste de Sa grâce ceux qu'Il veut rapprocher de Lui.
Il abaisse ceux qu'Il veut éloigner de Lui
Et accomplit pour qui Il veut ce qu'Il a promis.
Le sort des bienheureux comme celui des damnés
Sont chez Lui immuables et connus de toute éternité.
Selon nous, l'Homme fut rendu responsable par acquisition,
Mais, comprends bien, il n'a point d'influence par ses actions.
Il n'est pas contraint et dénué de libre choix
Mais certaines de ses actions ne relèvent pas de son choix.
Si Dieu nous récompense, c'est par pure Générosité
S'Il punit, c'est par pure Equité.
Ceux qui disent que Dieu a obligation d'agir au mieux
Professent, en prétendant L'obliger, un mensonge honteux !
Ne voient-ils pas comment Il fait souffrir les enfants ?
Alors prends garde à cette absurdité et ses semblants !
Il est possible pour Dieu de créer le mauvais et le bon
Par exemple : l'acceptation (islam) et la sotte dénégation.
Il est aussi de notre devoir de croire à la Prédestination
Et au Décret divin éternel, selon la tradition
De même que les regards pourront Le contempler
Mais sans qu'on sache « comment » et qu'Il soit en cela limité.
Cette possibilité sera accordée aux croyants au Paradis
Mais pour l'Elu la vision s'est réalisée en cette vie.
De même l'envoi de tous les messagers :
Dieu n'y était point obligé, c'est par pure générosité !
Il nous faut toutefois ajouter foi à cette vérité
Laisse donc ceux qui prennent leurs désirs pour des réalités.
Les prophètes sont nécessairement dignes de confiance
Véridiques et aussi doués d'intelligence
Transmettre ce qu'ils ont reçu est une autre de leurs qualités nécessaires
Il est impossible de trouver chez eux une attitude contraire.
Ce qui est de l'ordre du possible les concernant : manger
et s'accoupler avec les femmes, dans le respect des lois sacrées.
Toutes les idées que nous avons exposées sont rassemblées
Dans la double profession de foi, inutile donc de polémiquer !
La prophétie n'est pas chose qui s'obtient,
Quand bien même on atteindrait des sommets dans le bien.
C'est une grâce que Dieu donne à qui Il veut,
Ses bienfaits, Il les accorde gratuitement, Lui le Majestueux.
meilleure créature par excellence
Est notre prophète, cesse donc les querelles de précellence.

JAWHARAT AL-TAWHID

La perle précieuse de l'Unicité divine
Ecrit par shaykh Ibrâhîm ibn Ibrâhîm al-Laqqânî (m. 1041/1631)
(traduction par Abd-al-Wadoud Gouraud) vers 31 à 65

Vivant, Savant, Puissant, Voulant
Odiant, Voyant, Parlant, ce qu'Il veut étant
Les attributs dont l'Essence est qualifiée
Ne sont ni autres ni Elle-même en réalité
A chaque possible la Puissance est associée
Sans autre limite que celle des possibilités
La Puissance est une, et il en est ainsi,
De la Volonté et de la Science, mais celle-ci est élargie
Du fait qu'elle embrasse l'impossible et le nécessaire aussi
De même pour Sa Parole qui est infinie.
A toute chose existante sont liées l'Ouïe et la Vue
De même que l'Entendement quand on Lui attribue
Ces attributs diffèrent de la Science, c'est dit
Ainsi que de la Vie qui, elle, à rien ne s'associe.
Selon nous, Ses Noms sublimes sont éternels
Et ainsi en est-il de tous Ses attributs essentiels
La révélation nous enseigne Ses Noms
Et Ses attributs aussi, alors préserve la tradition !
Toute référence scripturaire donnant l'illusion d'une ressemblance
interprète-la ou laisse-la tel, mais vise la transcendance !
Affirme que le Coran transcende les contingences
Il est la Parole de Dieu, prends garde à Sa vengeance !
Si ces contingences semblent être indiquées par tel texte
Alors veille à replacer les choses dans leur contexte.
Les attributs contraires à ceux-là sont impossibles à Son sujet
Ainsi l'idée qu'Il serait localisable est sans objet.
Le possible à Son sujet c'est qu'Il peut faire
Exister ou anéantir, par exemple rendre l'homme prospère.

ceux les plus proches du vouloir-dire de Dieu. Pour ce faire, Ibn ʻAšūr doit argumenter ses choix, sonder les avis, en vérifier l'attribution et l'origine de chacun, peser le pour et le contre avant d'opter pour l'un d'entre eux qui doit être non seulement conforme au Texte et aux règles de la langue arabe, mais aussi aux dogmes fondamentaux de l'école aš'arīte, aux styles arabes archaïques de l'époque antéislamique. Aussi, le procédé de préférence est le cœur de l'opération de *taḥrīr*.

Delà découle l'une des missions exégétiques, les plus délicates auxquelles s'est attaqué Ibn ʻAšūr : celle de la résolution des points problématiques que la Tradition appelle : *muʻḍīl*, ou *muškīl*. Il s'agit en fait des points qui soulèvent des doutes, lestent des paradoxes apparents et des contradictions qui sapent la cohérence du texte coranique et lui enlèvent sa capacité à guider les âmes et à incarner la parole divine. Ces points *muʻḍīl* méritent donc un traitement spécial pour en dissiper les éventuels malentendus.

Ainsi, l'objet du *taḥrīr* est d'expliciter la parole divine, de la mettre à jour, de la clarifier et d'y enlever tous les volets problématiques, qui posent problème. Le texte de *taḥrīr* pour le commentaire est ce qui est l'inimitabilité pour le Coran. L'exégète doit atteindre, dans son texte exégétique, ce qu'a atteint le texte commenté, le Coran, de beauté et de Bayān. S'agit-il pour autant d'une intertextualité, d'une périphrase aussi précise et fidèle soit-elle ? Non, car Ibn ʻAšūr ne pratique guère la périphrase, mais il présente le vouloir-dire de Dieu de la manière la plus fidèle. C'est un parcours - ou un chemin à rebours où il s'évertue à retrouver le *murād* que Dieu a déposé dans les méandres de Sa parole, et c'est le sens précis qu'il donne – dans la toute première prolégomène au terme de *faṣr* et de *tafsīr* : clarifier le vouloir-dire, le but que les humains doivent fixer derrière la forme verbale (*lafz*) ; le *taḥrīr* permet de réaliser cette fixation et d'effectuer le retour à la source.

Ce *taḥrīr* comporte la possibilité de relier les versets, les uns aux autres. De manière systématique, Ibn ʻAšūr rappelle les endroits où il a déjà expliqué le mot ou l'expression. Sa lignée consiste à expliquer le mot lors de la toute première occurrence et de s'y atteler ; cependant, dès que le mot apparaît une deuxième fois il en rappelle le sens déjà vu et relie l'un à l'autre ; cette démarche vise en réalité - dans cette perspective de vérification - à démontrer la cohérence du texte coranique, que nulle contradiction ne figure entre ses occurrences et qu'il constitue un seul corpus soudé et cohérent où se tisse une parfaite unité organique.

défend que tous les versets en contiennent nécessairement. Plus particulièrement, il s'est intéressé à démontrer les liens contextuels et la cohésion des versets (*nazm*) en se référant à la théorie de ʿAbd al-Qāḥir al-Ǧurǧānī (m. 1078). D'ailleurs, il rappelle que Burhān ad-Dīn al-Biqāʿī (1407-1480) dans *Naẓm ad-durar fī tanāsub al-ayāti wa -suwar* et ar-Rāzī, en ont cité quelques aspects ; mais ils ne sont pas convaincants, dit-il.

3. Vérification historique

Ibn ʿAšūr s'est évertué de donner des dates plus ou moins précises sur la révélation des sourates et ce en guise de trancher les débats, parfois houleux, sur la période de leur révélation et si elles étaient mecquoises ou médinoises. Cela l'aide, dit-il, à contextualiser le sens et à le poser dans la linéarité historique, ce qui conduit à son tour à permettre de placer les sens des termes. À titre d'exemple, on sait que la *zakāt* (aumône légale) a été proscrite à Médine ; par conséquent, tous les versets antérieurs à cette prescription et qui contiennent la lexie *zakāt* seront interprétés autrement. Il en va de même pour l'acception de plusieurs autres vocables coraniques que seule la précision de la date de la Révélation permet de trancher s'il s'agit d'un sens propre ou d'un sens technique, cette vérification relève aussi du *taḥrīr*.

Le *Taḥrīr* a englobé les processus de la périodisation ou donner des dates précises et exactes aux évènements et aux personnages historiques cités dans le Coran. Sans s'attacher à l'historicité, Ibn ʿAšūr s'efforce à déterminer – avec plus ou moins d'exactitude- la période de leur apparition. Il s'appuie - et c'est un fait rare dans les ouvrages exégétiques modernes- sur les études des orientalistes notamment français qui ont déjà abordé la question.

Cet attachement à l'historicité s'explique par son penchant rationnel, celui qui- à l'instar d'Ibn Ḥaldūn (1320-1406) qui le cite aussi- considère l'histoire comme un champ de la connaissance vérifiable et empirique qui ne se trouve pas entièrement sous l'emprise du sacré. Ainsi, on lira des notes biographiques plutôt historiques sur les vingt-cinq prophètes du Coran, ainsi que sur tous les autres noms propres cités.

4. Préférence exégétique

Le *Taḥrīr* revient ainsi à exercer la préférence, *taḫyīr*, disciplinaire : en cas de la présence de plusieurs avis qui ne sont pas nécessairement contradictoires et opposés, l'exégète doit choisir parmi eux celui ou

de l'exégèse, son objet, ses sources, ses limites et ses finalités. Chaque chapitre de ces prolégomènes vise en effet à illustrer les fondements de la pratique exégétique et à en clarifier les règles, en rappelant sans cesse la légitimité de cette démarche. Rédigées et éditées avant la fin du *tafsīr*, ces introductions ont servi de charte exégétique, qu'il allait respecter tout au long des quinze volumes qui constituent son œuvre.

Ces Prolégomènes offrent, de surcroit, une véritable réflexion sur sa propre pratique ainsi que sur celle des commentateurs précédents, laquelle réflexion fut clairement nourrie d'une pensée critique où le Cheikh mit en doute les « abus » des anciens *Mufassir*-s, leurs erreurs et dépassements. Aussi, ces prolégomènes servent, à la manière d'une boussole, à orienter ses choix et à leur fixer une ligne directrice unique, organisant l'ensemble de ces options.

Nous parlerons également d'un commentaire systématique appliqué de la manière la plus rigoureuse sur l'ensemble du texte coranique. Par approche systémique, nous entendons une façon d'expliciter les versets se répétant sans aucune faille. Cela consiste à apporter une explication philologique ou à le rappeler, si le vocable a déjà été expliqué auparavant, puis à expliciter la composition des versets (*nazm*). Il s'agit également de les ancrer dans une logique avec ceux les précédant et les suivant, puis de rappeler les circonstances de leurs révélations tout en montrant les aspects de l'excellence rhétorique. Enfin, l'auteur tente d'en tirer les enseignements moraux ou sociaux, s'inscrivant davantage dans sa théorie de maqāṣid. Nous comprenons ainsi que le Coran fut pour lui un livre de guidance (hudā) avant tout.

L'auteur n'a jamais, tout au long de son commentaire, faillit à cette démarche et aux étapes de son modèle exégétique qu'il a délimité rigoureusement dans les prolégomènes, et ceci est certainement une traduction fidèle de l'esprit du *Taḥrīr*.

Ibn ʻAšūr dit : « *Je me suis imposé la règle de faire apparaître – dans le commentaire du Coran- des subtilités que personne ne m'y pas précédé et de m'établir dans la place de l'arbitre entre les groupes des exégètes, tantôt avec eux, tantôt à leur encontre* » (*Taḥrīr*, I, p. 7). Il précise qu'il n'entend pas saper ce que les Anciens ont déjà avancé en rappelant que la non-reconnaissance de leurs efforts ne fait pas partie des convenances louables (Idem).

Il s'est engagé également à citer – dans le commentaire de chaque verset – les subtilités stylistiques (*daqā'iq al-balāġa*) puisqu'il croit et

des bonnes paroles et se soumet à l'impératif éthique de parler avec droiture.

Ce terme *taḥrīr* et ses dérivés ont donc des antécédents dans la tradition culturelle et exégétique musulmane. À titre non exhaustif, nous citons *Al-Muḥarrar al-waǧīz* d'Ibn ʻAṭiyya (1088-1146) que l'auteur cite, explicitement, dans ses Prolégomènes, comme l'une de ses sources. Souvent, on attribue le qualificatif, plutôt laudatif, de *Muḥaqqiq* pour ceux qui exercent le commentaire avec cette capacité de précision, d'érudition et de profondeur.

Nous pourrions observer les divers sens auxquels renvoie ce terme :

1. Vérifier le raisonnement démonstratif

Au sens logique, le terme *taḥrīr* revient à vérifier les preuves et les étapes de démonstration employées par le *Mufassir* pour étayer son avis, écarter les aspects contradictoires lors d'un passage d'une prémisse à ses résultats. Les anciens exégètes musulmans n'ont, souvent, pas obéit suffisamment à l'exigence d'un passage logique, qui est pourtant nécessaire pour la cohérence et la justesse de leur propos. Ces exégètes ont parfois établi des interprétations faussées des énoncés coraniques et les ont fait parler d'une manière erronée.

2. Vérifications linguistiques

Ce processus de *taḥrīr* touche également les significations précises des mots coraniques. Ibn ʻAšūr appelle à se référer aux travaux des Anciens philologues arabes, et en particulier Al-Fayrūabādī (1222-1222) et Al-Gawharī (1358-1582), afin de présenter le sens le plus précis, celui qui correspondrait au mieux au vouloir-dire divin, mais davantage à la composition coranique. À titre d'exemple, il s'arrêta sur le sens de *tafaṯ*, un hapax coranique figurant dans la Sourate II et trancha parmi les nombreux avis présentés par les exégètes. Constatant que ces derniers offraient des significations parfois contradictoires, il affirma que le terme désignait les « murmures et propos amoureux précédent les rapports ».

Pour mettre en œuvre cette idée de Taḥrīr, Ibn ʻAšūr, à l'instar de ses prédécesseurs, notamment Ibn ʻAṭiyya d'Andalousie (778-781), a consacré dix prolégomènes (muqaddimat) introduisant son commentaire. Ces pages ont pour but d'instaurer une épistémologie propre à la discipline du tafsīr. Avec toutes les précautions d'usage, nous pensons que le concept « Epistémologie » n'est pas anachronique. Car, Ibn ʻAšūr a effectivement élaboré un discours plutôt rationnel sur la science

Le principe de *Tahrīr* dans l'œuvre du Cheikh at-Tāhir Ibn 'Ashūr

Nejmeddine KHALFALLAH

À l'occasion du 51ème anniversaire de départ de Cheikh at-Tāhir Ibn 'Ashūr, il convient de revenir à son œuvre. Comme c'est connu, Ibn 'Ashūr laissa une immense production religieuse axée sur l'exégèse coranique, en plus de plusieurs études poussées sur les finalités de la loi islamique et sur les fondements de l'organisation sociale et politique en Islam ; à cela s'ajoute l'édition critique de deux recueils de poésie. Il émit également un ensemble de fatwa et d'avis juridique en plus d'autres vérifications sur les ambiguïtés de certaines traditions prophétiques.

Dans l'ensemble cette œuvre, Ibn 'Ashūr a suivi la même méthode : *at-Taḥrīr*. Ce nom d'action, dérivé du verbe : *ḥarrra / yuḥarriru*, de la forme verbale II, charrie un sens ayant attrait aux études exégétiques et juridiques, et principalement celles de la discipline d'*Uṣūl al-fiqh* (méthodologie du droit musulman). Selon cette discipline, *taḥrīr* renvoie à ce processus intellectuel et discursif consistant à vérifier les avis, à les trier, ainsi qu'à « élaguer » le discours qui les exprime. Suite à ces extensions sémantiques, le concept revient à désigner cette démarche qui libère le discours exégétique de tout doute ou approximation.

Faut-il rappeler que ce titre porte la réminiscence d'un verset coranique où l'expression *qawl^{an} sadīd^{an}* a été citée (Coran, XXXIII : 70). Se faisant, Ibn 'Ashūr inscrit ses commentaires et avis dans le champ

SOMMAIRE

Le principe de Tahrīr dans l'œuvre du Cheikh at-Tāhir Ibn 'Ashūr. .. 3

Nejmeddine KHALFALLAH

JAWHARAT AL-TAWHID : La perle précieuse de l'Unicité divine..... 8

Ecrit par shaykh Ibrâhîm ibn Ibrâhîm al-Laqqânî

(Traduction par Abd-al-Wadoud Gouraud)

JAWHAR EL ISLAM

Revue culturelle islamique - Tunisie

Numéro 5/6 - 23ème année